

العدد الأول

جمادى الآخرة/ 1424هـ

فاتحة القول

أهمية رصد حركة الفرق والطوائف

أيها القارئ الكريم يسعدنا أن نضع بين يديك جهداً نـراه ضـرورياً في رصد حركة الفــرق والطوائف المخالفة لمنهج أهل الســنة والمســلمين , والداعي لهذا ما تشهده أوضاع المسلمين اليوم في كافة أرجاء الأرض من انبعاث لفكر هذه الطوائف أولاً وتشكيل هذه الفرق والطوائف دولاً وقوى سياســية فاعلة , وأهم من هــذا أنها بــدأت بالتســرب إلى أهل الســنة والمسلمين وافتراس الكثيرين من أبنائهم وقادتهم .

إن الصراع في عالمنا اليوم هو بين القوى المتدينة سـواء قلنا بصـراع الحضارات أم لم نقل فـإن سـيطرة القـوى المتدينة ظـاهر لكل مـراقب , وتعمل هــذه العقائد على فــرض المواقف والسياســات على العديد من الدول والقوى بصرف النظر عن صحة وصواب هذه الأفكار .

وإن أعداءنا واليهود تحديداً منهم ومن القديم حاربونا من خلال إنشاء ورعاية وتوجيه الفرق الضـالة والمبتدعة والتحـالف معهـا، واليـوم السـاحة مهيــأة أكــثر من أي وقت مضى لرعاية وإنشــاء ودعم العديد من القــوى البدعية والطائفية لتكون سلاحاً بيد أعداء الإسلام لكن باسم الإسلام ! .

وإن نظــرة على خارطة العــالم الإســلامي مع وضع أســماء القــوى الطائفية والفرقية المــؤثرة فيها ليوضح بشــكل لا نقــاش فيه هــذا الخطر الزاحف من داخلنا دون أن يعيره الكثير من المسلمين الانتباه الكافي .

ومن أجل هذا كانت هذه المجلة التي تهـدف إلى تبصـير أهل الاسـلام بخطر الفرق والطوائف على مسـتقبل الـدعوة الاسـلامية وبلادهم، وتوضح لهم حقيقة الأدوار التي يقومون بها مع التحذير من الخطط القادمة وكيفية العمل على مقاومتها .

والله من وراء القصد .

الراصد

كلمة لا بد منها

إن الحـديث عن الفـرق والطوائف ليس فتحـاً لجـروح مندملـة, بل حديث في قضية مهمة نعايشها وتكـاد تكـون محـور اسـتراتيجيات متعـددة تجاه أمننا.

وهذا لا يعـني أن جميع هـذه الفـرق والطوائف في مسـتوى واحد من العداء والمكر للأمة فضلاً عن أنها جميعها تريد ذلك.

وأيضاً فإن كثير من أفراد هذه الفرق والطوائف هم من الغـافلين عن حقيقة مـذاهبهم وعقائـدهم ولـذلك لا نتهم كل من انتسب لهـذه الفـرق والطوائف بالعمالة والتآمر, بل قد كان لبعض هـذه الفـرق والطوائف وفئة من أبنائها مواقف تشـكر لهم, لكن كـان سـبب ذلك بشـكل أساسي هو ضعف تأثرهم في مراحل معينة بمذهبهم وفكرهم!.

وتقريباً للصورة نقـول هنـاك العديد من المتصـوفة مثلاً لا يعـرف عن الصوفية سـوى ذكر الله -ولو كـان بصـورة مبتدعـة- وهو يظن أن هـذا هو غاية التصـوف ويكـون له بلاء حسن في الـدفاع عن الاسـلام وقضـاياه, فدفاعه وبلاءه مع الاسـلام ليس نابعـاً من تصـوفه بل هو نـابع من جهله بالتصـوف, فلو تعمق بالتصـوف واعتقد عقائد الصـوفية لتحـالف مع أعـداء الاسلام المتغلبين بحجة أن هذا قدر الله ولا بد من الأخذ به والحب له!!.

ولذلك فإن الخطر والبلاء يأتي الاسلام دائماً حين يقوم بعض أصحاب المذاهب البدعية بالـدعوة لها والعمل من أجلها فعنـدها تـنزل بالمسـلمين الكوارث, كما هو حادث في يومنا هذا.

الراصد

النصيرية

التعريف:

النصـيرية حركة باطنية ظهـرت في القـرن الثـالث للهجـرة, أصـحابها يعدون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجود جزء إلهي في علي وألهوه بـــه, مقصدهم هدم الإســلام ونقض عـراه, وهم مع كل غـاز لأرض المسـلمين, ولقد أطلق عليهم الإسـتعمار الفرنسي لسـوريا اسم (العلـويين) تمويهـاً وتغطية لحقيقتهم الرافضة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

-مؤسس هذه الفرقة أبو شعيب محمد بن نصير البصري النمـيري (ت 270هـ) عاصر ثلاثة من أئمة الشيعة وهم علي الهـادي (العاشـر) والحسن العسكري (الحادي عشر) ومحمد المهدي " الموهوم " (الثاني عشر).

-زعم أنه الباب إلى الإمام الحسن العسـكري, والحجة من بعـده, وأنه وارث علمه, والمرجع للشيعة من بعده, وأن صـفة المرجعية والبابية بقيت معه بعد غيبة الإمام المهدي.

-ادَّعى النبوة والرسالة, وغلا في حق الأئمة إذ نسبهم إلى الألوهية.

-خلفه على رئاسة الطائفة محمد بن جندب.

-ثم أبو محمد عبد الله بن محمد الجنـان الجنبلاني (235-287هـ) من جنبلا بفـارس, وكنيته العابد والزاهد والفارسـي, سـافر إلى مصـر, وهنـاك عرض دعوته على الخصيبي.

-حسـين بن علي بن الحسـين بن حمـدان الخصـيبي: المولـود سـنة 260هــ جـاء مع اسـتاذه من مصر إلى جنبلا, وخلفه في رئاسة الطائفـة, وعاش في كنف الدولة الحمدانية بحلب كما أنشأ للنصيرية مركزين أولهما في حلب ورئيسه محمد علي الجلي والاخر في بغــــــــداد ورئيسه علي الجسري.

-انقرض مركز بغداد بعد حملة هولاكو عليها.

-انتقل مركز حلب إلى اللاذقية وصار رئيسه أبو سعيد الميمون سـرور بن قاسم الطبراني (358-427هـ).

-اشـتدت هجمـات الأكـراد والأتـراك عليهم مما دعا إلى قيـام الأمـير حسن المكزون السنجاري (583-638هـ) ومداهمة المنطقة مـرتين فشل في الأولى ونجح في الثانية حيث أرسى قواعد المذهب النصيري في جبال اللاذقية.

-ظهر حسن عجـرد من منطقة أعنـا, وقد تـوفي في اللاذقية سـنة(836هـ/ 1432م).

-نجد بعد ذلك رؤساء تجمعات نصيرية من مثل الشاعر القمري محمد بن يونس كلاذي (1011 هـ / 1602 م) قرب أنطاكية, وعلي الماخوس وناصر نيصفي ويوسف عبيدي.

-سليمان أفندي الأذني: ولد في أنطاكية سنة 1250هـ وتلقى تعاليم الطائفة لكنه تنصر على يد أحد المبشرين وهرب إلى بيروت حيث أصدر كتابه (الباكورة السليمانية) يكشف فيه أسرار هذه الطائفة, استدرجه النصيريون بعد ذلك وطمأنوه فلما عاد وثبوا عليه وخنقوه وأحرقوا جثته في إحدى ساحات اللاذقية.

-عرفوا تاريخياً باسم النصيرية, لكن فرنسا أقامت لهم دولة أطلقت عليها اسم (دولة العلويين) وقد استمرت هذه الدولة من سنة 1920 إلى سنة 1936م.

-محمد أمين غالب الطويل: شخصية نصيرية, كان أحد قادتهم أيام الاحتلال الفرنسي لسوريا, ألّف كتاب (تاريخ العلويين) يتحدث فيه عن جذور هذه الفرقة.

-سليمان الأحمد: شغل منصباً دينياً في دولة العلويين عام 1920 م.

-سليمان المرشد: كان راعي بقر, لكن الفرنسيين احتضنوه وأعانوه على ادعاء الربوبية, كما اتخذ له رسولاً (سليمان الميده) وهو راعي غنم, ولقد قضت عليه حكومة الاستقلال وأعدمته شنقاً عام 1946م.

-جاء بعده ابنه مجيب, وادعي الألوهية, لكنه قتل أيضاً على يد رئيس المخابرات السورية آنذاك سنة 1951م, وما تزال فرقة (المواخسة) النصيرية يذكرون اسمه على ذبائحهم.

-ويقال بأن الإبن الثاني لسليمان المرشد اسمه (مغيث) قد ورث الربوبية المزعومة عن أبيه.

الأفكار والمعتقدات:

-جعل النصيرية علياً إلهاً, وقالوا بأن ظهوره الروحاني بالجسد الجسماني الفاني كظهور جبريل في صورة بعض الأشخاص.

-لم يكن ظهور (الإله علي) في صورة الناسوت إلا إيناساً لخلقه وعبيده.

-يحبون (عبد الرحمن بن ملجم) قاتل الإمام علي ويترضون عنه لزعمهم بأنه قد خلص اللاهوت من الناسوت, ويخطئون من يلعنه.

-يعتقد بعضهم بأن علياً قد سكن القمر بعد تخلصه من الجسد الذي كان يقيده ويعتقد آخرون بأن مسكنه في الشمس.

-يعتقدون بأن علياً قد خلق محمداً, وأن محمداً قد خلق سلمان الفارسي وأن سلمان الفارسي قد خلق الأيتام الخمسة الذين هم:

1-المقداد بن الأسود: ويعدونه رب الناس وخالقهم والموكل بالرعود.

2-أبو ذر الغفاري: الموكل بدوران الكواكب والنجوم.

3-عبد الله بن رواحة: الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر.

4-عثمـان بن مظعـون: الموكل بالمعـدة وحـرارة الجسد وأمـراض الإنسان.

5-قنبر بن كادان: الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام.

-قال ابن نصير بإباحة المحارم, وأحل (اللواط) بين الرجال.

-لهم ليلة يختلط فيها الحابل بالنابل كشأن باقي الفرق الباطنية.

-يعظمـون الخمـرة, ويحتسـونها, ويعظمـون شـجرة العنب لـذلك ويستفظعون قلعها أو قطعها لأنها هي أصل الخمرة التي يسـمونها " النـور ".

-يصلون في اليوم خمس مرات لكنها صلاة تختلف في عـدد الركعـات ولا تشتمل على سجود وإن كان فيها نوع من ركوع أحياناً.

-لا يصلّون الجمعة ولا يتمسكون بالطهـارة من وضـوء ورفع جنابة قبل أداء

الصلاة.

-ليس لهم مسـاجد عامـة, بل يصـلون في بيـوتهم, وصـلاتهم تكـون مصحوبة بتلاوة الخرافات.

-لهم قدّاسات شبيهة بقداسات النصارى من مثل:

- (قدّاس الطيب لكل أخ حبيب).
- (قدّاس البخور في روح ما يدور في محل الفرح والسرور).
- (قدّاس الأذان وبالله المستعان).

-لا يعترفون بـالحج, ويقولـون بـأن الحج إلى مكة إنما هو كفر وعبـادة أصنام

-لا يعترفون بالزكاة الشـرعية المعروفة لـدينا –نحن المسـلمين- وإنما يدفعون ضريبة إلى مشايخهم زاعمين بأن مقدارها خمس ما يملكون.

-الصيام لديهم هو الامتناع عن معاشرة النساء طيلة شهر رمضان.

-يبغضون الصحابة بغضاً شديداً, ويلعنـون أبا بكر وعمر وعثمـان رضي الله عنهم أجمعين.

-يزعمون بأن للعقيدة باطناً وظـاهراً وأنهم وحـدهم العـالمون ببـاطن الأسرار, ومن ذلك:

- الجنابة: هي موالاة الأضداد والجهل بالعلم الباطني.
- الطهارة: هي معاداة الأضداد ومعرفة العلم الباطني.

الصيام: هو حفظ السر المتعلق بثلاثين رجلاً وثلاثين امرأة.

- الزكاة: يرمز لها بشخصية سلمان.
- الجهاد: هو صب اللعنات على الخصوم وفُشَاة الأسرار.

- الولاية: هي الإخلاص للأسرة النصيرية وكراهية خصومها.
- الشهادة: هي ان تشير إلى صيغة (ع.م.س).
- القرآن: هو مدخل لتعليم الإخلاص لعلي, وقد قام سلمان " تحت اسم جبريل " بتعليم القرآن لمحمد.
- الصلاة: عبارة عن خمسة أسماء هي: علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة, ومحسن هذا هو (سر الخفي) إذ يزعمون بأنه سقط طرحته فاطمة, وذكر هذه الأسماء يجزئ عن الغسل والجنابة والوضوء.

-اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء النصيرين لا تجوز مناكحتهم, ولا تباح ذبائحهم, ولا يُصلّى على من مات منهم ولا يدفن في مقابر المسلمين, ولا يجوز استخدامهم في الثغور والحصون.

-يقول ابن تيمية: " هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية –هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية- أكفر من اليهود والنصارى, بل وأكفر من كثير من المشركين وضررهم أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل التتار والفرنج وغيرهم... وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين, فهم مع النصارى على المسلمين, ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار, ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم "

-الأعياد: لهم أعياد كثيرة تدل على مجمل العقائد التي تشتمل عليها عقيدتهم ومن ذلك:

1- عيد النوروز: في اليوم الرابع من نيسان, وهو أول أيام سنة الفرس.

2- عيد الغدير, وعيد الفراش, وزيارة يوم عاشوراء في العاشر من المحرم ذكرى استشهاد الحسين في كربلاء.

3- يوم المباهلة أو يوم الكساء: في التاسع من ربيع الأول ذكرى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران للمباهلة.

4- عيد الأضحى: ويكون لديهم في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة.

يحتفلون بأعياد النصارى كعيد الغطاس, وعيد العنصرة, وعيد القديسة بربارة, وعيد الميلاد, وعيد الصليب الذي يتخذونه تاريخاً لبدء الزراعة وقطف الثمار وبداية المعاملات التجارية وعقود الإيجار.

5- يحتفلون بيوم (دلام) وهو اليوم التاسع من ربيع الأول ويقصدون به مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه, فرحاً بمقتله وشماتة به.

الجذور الفكرية والعقائدية:

-استمدوا معتقداتهم من الوثنية القديمة, وقدّسوا الكواكب والنجوم وجعلوها مسكناً للإمام علي.

-تأثروا بالأفلاطونية الحديثة, ونقلوا عنهم نظرية الفيض النوراني على الأشياء.

-بنوا معتقداتهم على مذاهب الفلاسفة المجوس.

-أخذوا عن النصرانية, ونقلوا عن الغنوصية المسيحية, وتمسكوا بما لديهم من التثليث والقداسات وإباحة الخمور.

-نقلوا فكرة التناسخ والحلول عن المعتقدات الهندية والآسيوية الشرقية.

-هم من غلاة الشيعة مما جعل فكرهم يتسم بكثير من المعتقدات الشيعية وبالذات تلك المعتقدات التي قالت بها الرافضة بعامة والسبئية (جماعة عبد الله بن سبأ اليهودي) بخاصة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

-يستوطن النصيريون منطقة جبال النصيريين في اللاذقية, ولقد انتشروا مؤخراً في المدن السورية المجاورة لهم.

-يوجد عدد كبير منهم ايضاً في غربي الأناضول ويعرفون باسم (التختجية والحطابين) فيما يطلق عليهم شرقي الأناضول اسم (القزل باشيه).

-ويعرفون في أجزاء أخرى من تركيا وألبانيا باسم البكتاشية.

-هناك عدد منهم في فارس وتركستان ويعرفون باسم (العلى إلهية).

-وعدد منهم يعيشون في لبنان وفلسطين.[1]

في السياسة والتاريخ:

و وقائع التاريخ تؤكد ما ذهب إليه ابن تيمية رحمه الله من أنهم مع كل عدو للمسلمين, فقد كان هؤلاء الباطنيون دوماً و ما زالوا ضد المسلمين, ويناصرون الكافرين عليهم, ففي سنة 803هـ, توجه تيمور لنك إلى الشام وخرّب معالمها ودك حصونها, وأذل رجالها, معبراً عن حقد شعوبي خبيث, مغطى بدعوى الولاء لآل البيت, فقام النصيرية يناصرونه ويغرونه بالفتك بأهل الشام, وكان نائب حلب هو الأمير (النصيري) تمور طاش الذي اتصل بتيمور لنك خفية واتفق معهم على أن يدهم تيمور لنك حلب, فهاجمها بالفعل ودخلها عنوة, وأمعن في القتل والنهب والتعذيب.

ولما تصدّى الظاهر بيبرس لصد حملات التتار عن الشام, كان النصيريون مع التتار, ولما تمكن بيبرس من القضاء على التتار, توجه إلى جبال النصيرية, وعاقبهم, ثم أحسن الظن بهم وبنى لهم المساجد علّهم يعودون على الاسلام, فاستجابوا مدة حتى أمنوا, ثم أهملوها وجعلوها زرائب للماشية.

واما في عهد الهجمة الصليبية, فإن الصليبيين لم يدخلوا بلاد المسلمين إلا عن طريقهم ومن مناطق سكناهم في طرطوس وأنطاكية وغيرها من مناطق نفوذهم, بل إن مدينة أنطاكية سقطت في يد

[1] نقلاً عن الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض
الطبعة الثانية 1409هـ - 1989م ص 511-517

الراصد

الصليبيين بفعل الاتفاق الذي وقع بين الزعيم النصيري (فيروز) وبين قائد الصليبيين (بوهمند), كما أن النصيريين أرشدوهم إلى القلاع والوديان والمسالك.

وفي زمن الحرب العالمية الأولى, أعان النصيريون الفرنسيين على احتلال سوريا, وسعوا لإقامة دولة خاصة بهم, وقد أقامت لهم فرنسا دولة في بداية أيلول سنة 1920, ويقول الجنرال الفرنسي غورو في تلك الفترة (وأفيدكم بهذا الصدد أن النصيريين الذين يستيقظ حسهم " الإقليمي الذاتي " منذ لم يعد الاتراك هنا لتذويبهم مع المسلمين, قد ساعدوني كثيراً في قمع الفتنة التي أثارها الشريف (فيصل الأول) في منطقة تل كلخ, فقد تلقيت برقية تفيدني بأن ثلاثة وسبعين زعيماً نصيرياً يتحدثون باسم جميع القبائل يطالبون بإنشاء اتحاد نصيري مستقل تحت حمايتنا المطلقة).

وفي عام 1919 أطلق الفرنسيون على النصيريين اسم (العلويين) لترفع عنهم تلك الوصمة من ذلك الاسم البغيض (النصيرية), وفي عام 1936 أرسل زعماء الطائفة النصيرية في سوريا عريضة يطالبون فيها بعدم إنهاء الانتداب الفرنسي لسوريا, ويذكّرون المسؤولين الفرنسيين بأنهم شعب يختلف في معتقداته الدينية وعاداته وتاريخه عن الشعب المسلم السني, وأبدوا تعاطفهم مع اليهود الذين كانوا يتكاثرون في فلسطين –آنذاك- تحت رعاية ودعم الاحتلال البريطاني, وفي العام ذاته رفض زعماء الجبل (النصيريون) في سوريا وحدة سوريا, وأعلنوا العصيان المسلح سنة 1946.

وفي سنة 1975 دخل الجيش السوري لبنان ليقف مع المسيحيين الموارنة ضد المسلمين, ويرتكب في العام التالي مذبحة مروعة في تل الزعتر بحق الفلسطينيين الأبرياء, وسوريا كما هو معروف تحكمها الطائفة النصيرية منذ عام 1970 وحتى الآن, كما أن النظام السوري النصيري اقترف عدة مجازر مروّعة ضد مواطنيه السوريين السّنة في مدينة حماة وغيرها أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات.

للإستزادة:

1- طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها – د. سليمان الحلبي

2- الخمينية وريثة الحركات الحاقدة والأفكار الفاسدة – وليد الأعظمي

3- رؤية اسلامية في الصراع العربي الاسرائيلي – محمد عبد الغني النواوي.

4- مدخل إلى المذهب العلوي النصيري – جعفر الكنج الدندشي

حزب الله من الحلم الايديلوجي

إلى الواقعية السياسية

هذا كتاب مهم في بابه للدكتور غسان العزي أستاذ العلوم السياسية في الجامعة اللبنانية صدرت طبعته الأولى عن دار قرطاس للنشر في الكويت في 105 صفحات من الحجم المتوسط سنة 1998, والمؤلف د. غسان العزي هو أستاذ العلوم السياسية في الجامعة اللبنانية.

وأهمية الكتاب تتمثل في أن حزب الله في لبنان أشبه بقصة غامضة يتداخل فيها البعدان الخارجي والداخلي, قصة تثور حولها التساؤلات الكثيرة ومنها حقيقة الانسحاب الاسرائيلي من جنوب لبنان المحتل والدور الغامض لحزب الله.

لذلك كان حزب الله موضوعاً جديراً بالدراسة, رغم صدور عدد وافر من الكتب والأبحاث حوله, لكن معظم هذه الدراسات بحسب المؤلف د. غسان عزي ينظر إلى الحزب من زوايا ضيقة نسبياً, فهو إما مجرد حركة عسكرية وجدت لمقاومة الاحتلال الاسرائيلي وبالتالي تزول بزواله, وإما رأس حربة للنفوذ الإيراني في لبنان, وإما ورقة ضاغطة لسوريا في مفاوضات السلام, وإما تعبير عن " حالة إسلامية شيعية أصولية "... إلخ.

وبين هذا الرأي وذاك, يحاول المؤلف الخروج بتحليل يتوخى القدر الأكبر الممكن من الموضوعية والتوازن, وتدور إشكالية البحث حول رصد مسار حزب الله والتوفيق بين الخطاب الايديولوجي والممارسة الواقعية, أو بالأحرى تحوله التدريجي من الثورية المثالية إلى الواقعية السياسية, فالأنظمة القائمة في العالم العربي والاسلامي التي يدعو حزب الله لتغييرها, هو اليوم يعيش في أحضان بعضها ويمثل جزءًا من نظامها ويرفع أعلامها وشعاراتها!

نشأة حزب الله:-

يذكر المؤلف الظروف التي نشأ فيها حزب الله وخاصة البيئة الاجتماعية والسياسية, حيث الجنوب والبقاع المحروم مقابل بيروت الغنية, وكانت الطائفة الشيعية اللبنانية

الأكثر عدداً من بين الطوائف في الجنوب والبقاع خاصة, ثم جاء تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية سنة 1964 وانطلاق عملياتها من الجنوب اللبناني, وقد دفع هذان السببان باتجاه الهجرة من الجنوب والبقاع, وفي هذا الجو راحت تنمو الأحزاب السياسية ويتكاثر عددها, وكانت الطائفة الشيعية تغذي صفوف الأحزاب اليسارية والقومية العربية عموماً المتحالفة مع الثورة الفلسطينية.

وفي ظل هذه الظروف, قدم إلى لبنان شيعي إيراني هو موسى الصدر, وأخذ يعمل على تنظيم صفوف الشيعة وإقامة المشاريع لهم, ثم أنشأ حركة أمل الشيعية المسلحة سنة 1975, وسرعان ما تم منحه الجنسية اللبنانية [1].

---

[1] تم إرسال موسى الصدر من قبل شاه إيران, ومنح الجنسية اللبنانية على يد الرئيس شهاب الذي ينتمي إلى أسرة درزية تنصرت! أنظر حقيقة المقاومة – عبد

وساهمت المنظمات الفلسطينية مساهمة فعالة في التأطير العسكري والسياسي لحركة أمل وفي تسليحها ودعمها, وبعد اختفاء الصدر الذي كان في زيارة إلى ليبيا تولى رئاسة الحركة حسين الحسيني ثم نبيه برّي الذي وجهها وجهة سورية, واختار تحالفاً لا حدود له مع سوريا التي كانت تعيش صراعاً على النفوذ مع منظمة عرفات في لبنان, وبالرغم من الدعم الفلسطيني الكبير لحركة أمل الشيعية إلا أن الفلسطينيين كانوا ضحايا الحركة, فقد اقترفت ضدهم مذابح مروعة وفرضت حصاراً على مخيماتهم وهو ما عرف لاحقاً باسم (حرب المخيمات) وهذا يدل على طيبة أهل السنة تجاه الآخرين.

في بداية عام 1979, انتصرت الثورة الايرانية في إيران, فدب الحماس في نفوس المقاتلين الشيعة, الذين سارعوا إلى تشكيل " لجان دعم الثورة الاسلامية في إيران " واختار بعض رجال الدين الايرانيين المنفيين في لبنان البقاء في لبنان, والعمل كجسر لإيران في لبنان, وتمكن الحرس الثوري الايراني من إدخال أكثر من ألف عنصر إلى جنوب لبنان, وعملوا في صفوف أمل ومنظمة التحرير, وتكثفت الاتصالات بين الشيعة اللبنانيين والايرانيين, وتمركز علماء دين إيرانيون في الجنوب وضاحية بيروت الجنوبية, وصارت السفارة الايرانية تكثف نشاطاتها الدعائية والاجتماعية والثقافية وتقدم المساعدات وتنظم التجمعات والمهرجانات الداعية للثورة, وتساهم في خلق الظروف المؤاتية لمشروع تصدير الثورة.

ومع تصاعد الغزو اليهودي ضد لبنان عام 1982 م, تم تشكيل هيئة انقاذ وطني من مختلف الفصائل ومن بينها حركة أمل, لكن طلبت إيران من رئيس الحركة نبيه بري عدم المشاركة! و اعتراضاً على مشاركة بري انشق عنه بعض الأعضاء الموالين لإيران و أسسوا " حركة أمل الاسلامية ", وفي الوقت الذي كان فيه حسين موسوي نائب رئيس حركة أمل يهاجم هيئة الانقاذ والمشاركين فيها ويعلن ولادة " أمل الاسلامية " قام بخطف عدد من رجال الدين المسيحيين في مدينة زحلة, وسرعان ما تحولت " أمل الإسلامية " إلى " حزب الله ", و في عام 1984 تم اعتماد التسمية الثابتة والشعار المركزي للحزب, وفي عام 1985 م أصدر "حزب الله" الرسالة المفتوحة التي تحتوي على برنامجه السياسي ورؤيته للواقع المحلي والاقليمي والدولي, وهكذا فقد نشأ وولد حزب الله من رحم الاحتجاج على انضمام نبيه بري إلى لجنة الانقاذ للتصدي للعدوان الاسرائيلي!!!.

التصورات والمنهج :

شكلت الرسالة المفتوحة خطوطاً عريضة لمنهج حزب الله, فقد أكدت على الولاء لإيران وللإمام الخميني الولي الفقيه والالتزام بقيادته, ورفض النظام اللبناني القائم, ورفض و معارضة كل من يتحرك في إطار المحافظة على الدستور ومعارضة كل حكومة تمثل جزءاً من النظام اللبناني الظالم.

المنعم شفيق ص 70. (التحرير)

وجعل حزب الله من أهدافه :

- إخــراج إســرائيل من لبنــان نهائيــاً تمهيــداً لإزالتها من الوجــود, وتحرير القدس وعدم الاعتراف بالهدنة مع اسرائيل إلا أنه سرعان ما عقد الهدنة والاتفاقات كما هو الحال في هدنة نيسان سنة 1996 م.

- إخراج أمريكا وفرنسا من لبنان, وسائر القوى الاستعمارية.

- محاكمة الكتائبيين على الجرائم التي اقترفوها بحق اللبنانيين.

-مهاجمة الأنظمة العربية كــالعراق ومجلس التعــاون الخليجي ومحــور الأردن ومصر والمنظمة العرفاتية, في إشارة إلى الدول التي كــانت تقف ضد إيران في حربها على العراق.

البنية التنظيمية والمؤسسات :

حيث أن حــزب الله يتبــنى نظرية ولاية الفقيــه, فــإن مرشد الثــورة الايرانية هو قائد الحزب وزعيمه أما الذي يــدير شــؤونه فهو الأمين العــام, ويتــألف الحــزب من مجلس للشــورى ومكتب سياسي ومكتب مركــزي, والكوادر القيادية للحزب إما من العاملين في حزب الدعوة [1] أو من الذين عملوا مباشرة مع الثورة في إيران.

وجرت أول انتخابات للحزب ســنة 1989, وقد راح منذ ولادته يجمع بين المنظمة السرية الأمنية وبين الحركة الأهلية الجماهيرية.

ومن الأسباب التي تــدفع الحــزب إلى هــذه الســرية وجــود عضــوين إيرانــيين في القيــادة الحزبية العليــا, ويعتمد حــزب الله على جهــاز أمــني شديد التعقيد والفعالية.

بلغت موازنة الجهــاز الأمــنى 70 مليــون دولار ســنة 1992, وقد تم إنشاء هذا الجهاز بمساعدة حــرس الثــورة الايرانــيين (الباســدران) الــذين وفــدوا إلى لبنــان ســنة 1982, وكــان يشــرف ســابقاً على المعتقلات وموضوع الرهائن الاجانب الذين تمكنت إيــران من خلال المســاومة عليهم من عقد عشرات الصفقات السرية مع الولايــات المتحــدة وفرنسا وألمانيا لاســتيراد الســلاح الــذي احتــاجت إليه في حربها ضد العــراق (إيــران غيت مثلاً).

وســمح للحــزب بــامتلاك الآلة العســكرية والإعلامية والدينية والأمنية واستطاع أن يفــرض نفسه على الســاحة عســكرياً ثم سياســياً, واحتفظ بســلاحه في حين تخلت الأحــزاب والميليشــيات الأخــرى عن ســلاحها أو جردت منها.[2]

---

[1] حزب الدعوة الشيعي العراقي الذى أسسه محمد باقر الصدر وكان من المقربين له محمد حسين فضل الله.

[2] وذلك بدعم وتعاون سوريا واحتفظ الحـزب بسلاحه بذريعة المقاومة الـتي لم نرها طوال سنوات الانتفاضة الثانية!!

وفي ظل غياب الدولة, لجأ حزب الله إلى إنشاء عشرات المشاريع الخيرية من مدارس ومستشفيات وحفر آبار... وإنشاء مؤسسات تتبع هيئات إيرانية كمؤسسة الشهيد, وإنشاء وسائل إعلام مثل تلفزيون المنار, ومركز دراسات وتوثيق, كما اهتم الحزب بإنشاء المدارس الدينية والحوزات, الأمر الذي يثير التساؤل عن موارد الحزب خاصة إذا أضيف لها كلفة الجهاز الأمني والعسكري للحزب, لذلك فالدعم الإيراني أكثر من حيوي, وقد عيّن مرشد الثورة الإيرانية خامنئي اثنين من قادة الحزب هما حسن نصر الله ومحمد يزبك وكيلين له في لبنان لاستلام أموال الخمس وغيرها.

وقدّر دخل الحزب عام 1993 بـ 160 مليون دولار وقد اعتبر عيسى طبطبائي رئيساً لـ "مؤسسات الجمهورية الاسلامية الايرانية " في لبنان وهو من قدامى الدعاة الخمينيين في لبنان, وقد اضطلع بدور بارز في إعداد كوادر حزب الله الخميني واختيارهم وترقيتهم على غرار ما كانت تصنع "دائرة الكوادر" في الأحزاب الشيوعية والسوفيتية.

وطريقة عمل حزب الله المؤسساتي هي طريقة الأحزاب الشيوعية والهدف منها خلق مجتمع نقيض للمجتمع العام والظاهر, لا يترك للدولة أي مكان فيه أو دور, والأصل هو "الثورة الاسلامية" أو " المقاومة الاسلامية " أي الحرب, وما الأساليب المختلفة (رعاية الأيتام وما شابه ذلك) إلا فروع متفرعة عن هذا الأصل, " تخفف " بعض نتائج الحرب أو تمدها بوقود جديد.

المقاومة:

ارتبط حزب الله في أذهان الناس بالمقاومة في جنوب لبنان, وصارت تثار التساؤلات حول حقيقة الدور الذي يؤديه ومدى ارتباطه بلبنان أو أدائه لأدوار نيابة عن الآخرين وفعالية المقاومة وسبب السماح له وحده بامتلاك السلاح.[1]

ومن أجل أن يعطي الحزب الانطباع بأنه لبناني, أعلن أمين عام حزب الله حسن نصر الله في أحد أيام 1997 عن إنشاء (السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الاسرائيلي) في محاولة لاتجاه الحزب حول "اللبننة" ورفع تهمه إستئثاره بالمقاومة, ولم نر أي تطبيق عملي لهذه الخطوة سوى إلهاب المشاعر والإيهام بأن الحزب يعمل لمصلحة لبنان وأنه ليس طائفياً والأرجح أن إيران ليست بعيدة عن توجه الحزب نحو "اللبننة", خاصة بعد عودة حسن نصر الله من طهران حيث قابل رئيسها المنتخب قريباً محمد خامنئي.

تمدد الحزب: -

سبق القول أن حزب الله ولد من رحم حركة أمل التي أخذ من كوادرها ومقاتليها الكثير, ودخل الحزب في صراعات مع فصائل عديدة من بينها حركة أمل والحزب الشيوعي, وسيطر على عدة مناطق في

---

[1] صرح رئيس الدولة الاسرائيلية لمجلة المجلة عدد 1154 عن أن الانسحاب من جنوب لبنان كان لمصالح إسرائيلية! ونشرت مجلة الوطن العربي عن قصة الاتفاق بين اسرائيل وحزب الله على الانسحاب في عددها 1217.

لبنان, وارتبطت بالحزب عدة عمليات لخطف رهائن غربيين والمساومة عليهم, كما امتد الصراع بين حزب الله وخصومه خارج لبنان في أوروبا, والكويت وغيرها, حيث شهدت سنوات الثمانينات في الكويت حوادث مروّعة نفذها حزب الله بسبب وقوفها مع العراق في حربها ضد إيران, شملت تفجير سفارات ومنشآت حيوية ومرافق عامة واختطاف طائرات ومحاولة اغتيال أمير الكويت سنة 1985.

حزب الله وإيران وسوريا :

بالرغم مما يؤكده قادة الحزب بأنه لبناني ونشأ لبنانياً وجاء الدور السوري والإيراني لاحقاً, إلا أن المعطيات تؤكد أن إيران لعبت دوراً أساسياً في ولادته ونشأته ونموه, وتصريحات قادة الحزب وميثاق الحزب تؤكد دوماً التبعية للثورة الايرانية ومرشدها, وصور قادة إيران وعلمها تسيطر على مرافق وفعاليات الحزب.

يقول حسن سرور أحد قادة الحزب " نعلن للعالم أجمع أن إيران هي أمنا وديننا وكعبتنا وشراييننا " ويزيد عباس موسوي :" كلنا أخوة ونقاتل من أجل القضية نفسها, وكل من يحاول التفرقة بيننا وبين اخوتنا الايرانيين أو بين المسلمين عموماً فإنه يرتكب جريمة ".

الدعم المادي والعسكري والسياسي والاعلامي الايراني لحزب الله واضح لا لبس فيه, وإن كان يصعب تحديد حجمه, وهناك جهات إيرانية عديدة تعمل في حزب الله: حراس الثورة, وزارة الخارجية, مؤسسة الشهيد, وزارة الإرشاد الاسلامي, وزارة الداخلية, الأجهزة الأمنية الاستخباراتية...

لقد كلف حزب الله إيران الكثير من الجهد والمال, لكن إيران تمكنت من خلاله بالدخول بقوة إلى أزمة الشرق الأوسط, ورفع عبء العقدة القومية الفارسية عنها وعقدة الصراع التاريخي بين الفرس والعرب التي برزت خلال حربها الطويلة مع العراق, وأظهرها بمظهر البلد الذي يواجه اسرائيل والولايات المتحدة.

لكن النفوذ الايراني يظل محكوماً بالسقف السوري وغياب الإجماع عليه سواءً الشيعي أوغير الشيعي, وإذا كان الحزب قد نشأ بإشراف ورعاية إيرانية, فإنه قد نشأ في مناطق النفوذ السوري, وقد استفادت سوريا منه في محاربة فصائل لبنانية معادية لها, وبقيت العلاقة بين سوريا والحزب حتى سنة 1987 منحصرة بالجانب الأمني دون أن تتطور إلى مستوى التنسيق السياسي.

وبعد حدوث اشتباك بين سوريا وحزب الله في بداية 1987, حدث منعطف خطر في العلاقة بينهما, ومنذ ذلك الوقت يتحاشى الحزب الخلاف المعلن مع السياسة السورية, وسعى إلى مزاوجة ولاءيه: الإيراني من جهة والسوري من جهة أخرى من غير انفصال, فالولاء السوري صار " شرط بقاء الجهاز الخميني المادي (بقاءً مادياً) بلبنان واستمراره على خطه ونهجه.

ومع انطلاق مفاوضات السلام العربية الاسرئيلية سنة 1991 توثقت

الراصد

العلاقـات بين دمشق والحـزب, فالمقاومة الإسـلامية في جنـوب لبنـان صارت أثمن الأوراق الداعمة للموقف التفاوضي السوري, وصارت سـوريا توجه من خلال الحزب رسائل إلى تل أبيب, وتحرك الجبهة الشـمالية على إيقاع المفاوضات المرتبكة.!!!

حزب الله في الانتخابات :

أثارت مشاركة الحـزب في انتخابـات سـنة 1992 اندهاشـاً واسـتغراباً لـدى الكثـيرين الـذين تسـاءلوا عن مشـاركة الحـزب في سـلطة يعتبرها جائرة, وبموجب ولاية الفقيه الـتي يعتنقها الحـزب الـتي لا تجـيز أن يخضع المسلم لحكم غير المسلم والشيعي لغير الشيعي, وقد فسّر هـذا التحـول بأنه اتبـــاع الخطط المرحلية من خلال التحـــرك في كل فرصة تهيئها الظروف الموضوعية, لإثبات نفسه وفرض وجـوده في السـاحة اللبنانية و كما أن دخوله المعترك النيابي فرصة لإبعاد صفة الإرهاب عنه.

وخاض الحزب الانتخابات اللاحقة سنة 1996 وحصل على العـدد نفسه من المقاعد (8 للحزب و 4 لحلفائه أمل والشيوعيين والقوميين).

وخلال تلك الفترة وافق نواب الحزب على التمديد ثلاث سنوات أخـرى لرئيس الجمهورية اللبنانية الهراوي, الأمر الذي يشـكل قمة الانخـراط في لعبة براغماتية تبتعد ابتعـاداً واضـحاً عن المواقف الايديولوجية المعلنـة, ومن بين هـذه المواقف الموقف المعلن للمرجع الشـيعي محمد حسـين فضل الله الذي يعتبر المرشد للحزب والذي يعده البعض من (المعتدلين) عندهم حيث يرفض العملية الديمقراطية العددية من أساسها كما جاء في كتابه (الاسلام ومنطق القوة).

الخلافات البينية الشيعية :

كان لا بد لحزب الله أن يتأثر بالخلافـات داخل القيـادة الإيرانيـة, خاصة تلك التي برزت بعد وفاة الخميني, ويوجد أربعة تيارات شيعية بارزة تتنازع النفـوذ على الطائفة فهنـاك: أ-حـزب الله الـذي يعتمد المرجعية الايرانية وولاية الفقيه. ب-حركة امل ج-المرجع الشـيعي محمد حسـين فضل الله وهنـاك المجلس الاسـلامي الشـيعي الأعلى الـذي يرأسه محمد مهـدي شمس الدين.

وتتمحور معظم الخلافات حول المرجعية, وولاية الفقيـه, والحصص في الدولة وفي أمـوال الخمس والمسـاعدات لكنها تبقى محكومة بسـقف سوري.

خلاصة عامة : حزب الله من الايديولوجية إلى الواقعية :

في ختام كتابه يضع المؤلف خلاصة عامة لتحول مسيرة حـزب الله من الايديولوجية الثورية إلى الواقعية والبعد اللبنـاني. وسـقوط شـعاراته الـتي كانت تدغدغ الجماهير.

فـالحزب نشأ في ظل الاجتيـاح الاسـرائيلي للبنـان وانتصـار الثـورة الإيرانية, وقد ساهم ذلك في تبني الحـزب لشـعارات ثوريـة, وكـان يتبـنى تكفـير ورفض النظـام اللبنـاني ورفض اتفاقية الطـائف الـتي وضعت حدّاً للحرب الأهلية, وكـان الحـزب يمـارس عمليـات الاغتيـال وخطف الرهـائن

وتحول إلى حزب سياسي لبناني يساهم في الحكم ويعتبر نفسه جزءاً من لبنـان, وينسق مواقفه مع مواقف الدولة الـتي كـان بـالأمس يرفضـها ويكفرها.

وإذا كان تعثر مسيرة السلام يصب في مصـلحة الحـزب مباشـرة, وهو الذي نشأ كرد فعل مباشر على عدوان اسرائيل, لكن كيف سيكون الوضع إذا أثمرت مفاوضـات السـلام تسـوية ما وافقت سـوريا عليهـا, عنـدها لن يملك الحـزب سـوى الانكفـاء إلى العمل السياسي والاجتمـاعي, والتخلي عن البندقية.

هـذا فيما يتعلق بسـورية أما إيـران, فإنها أعلنت أنها تحـترم مواقف الأطراف العربية ولن تعمل على إعاقتها, وهي تسـعى إلى علاقـات جيـدة مع الدول التي وقعت اتفاقيـات سـلام مع اليهـود مثل الأردن ومصـر, وقد جاءت نصيحة إيران لحزب الله بأن يتحول من مقاومة اسلامية إلى حـزب سياسي فاعل في الحيـاة السياسـية اللبنانية لتضـمن لحليفها مكانـاً على الطاولة الرسمية في لبنان.

لقد كـانت إحـدى أهم ايـديولوجيات الحـزب المعلنة هي تحرير كل فلسطين "من البحر إلى النهر " وإزالة إسرائيل من الوجود, وتحولت هذه الايديولوجية إلى واقعية جسـّدها أمين عـام الحـزب حسن نصر الله في 2/5/1996 عنـدما صـرّح... "إن هـدف المقاومة الاسـلامية هو تحرير المنطقة اللبنانية المحتلة وإن وقف عملياتها رهن بانتهـــــاء الاحتلال الاسرائيلي لأجزاء من لبنان ".

وبعد هذا العرض لأهم أفكـار الكتـاب لا بد أن يتضح أن بوصـلة الحـزب هي باتجـاه مصـالحه الطائفية وتحقيق أكـبر قـدر ممكن من المكاسب السياسـية باسم المقاومة المزعومة والحـزب يمـارس الآن سياسة تهيئه لترك المقاومة تحت غطاء مصلحة المقاومة!!

سطور من الذاكرة

محاولة قتل صلاح الدين الأيوبي

571هـ

صلاح الدين الأيوبي نموذج مميز للحاكم والقائد المسلم, وارتبط اسمه بالجهاد وتحرير القدس, وكان خليفاً بالإمارة, مهيباً, شجاعاً حازماً, مجاهداً كثير الغزو عالي الهمة, تقياً ورعاً.

كردي, ولد في تكريت سنة 532 هـ, وتوفي رحمه الله بدمشق سنة 589 هـ.

سيرته:

قضى صلاح الدين حياته من غزوة إلى غزوة, يسارع للجهاد في سبيل الله ويهبّ لنجدة المسلمين وتطهير أراضيهم ومقاتلة المعتدين من الكفار, وهو أيضاً يهتم بجبهته الداخلية, ويوصي أنصاره بتقوى الله ويحثهم على الصبر والطاعة واجتناب المحرمات, وكان يوقن أن طاعة الله هي الطريق إلى النصر وأن مخالفة أوامره هي الطريق إلى الهزيمة.

نقل الذهبى عن الموفق عبد اللطيف أحد معاصري صلاح الدين قوله:

" أتيت, وصلاح الدين بالقدس. فرأيت ملكاً يملأ العيون روعة, والقلوب محبة, قريباً بعيداً, سهلاً, محبباً, وأصحابه يتشبهون به, يتسابقون إلى المعروف كما قال تعالى: (ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخوانا), وأول ليلة حضرته وجدت مجلسه حفلاً بأهل العلم يتذاكرون, وهو يحسن الاستماع والمشاركة... "

وارتبط اسم صلاح الدين بالقدس, فهو الذي حرّرها من الصليبيين بعد معارك ضارية, وكانت معركة حطين سنة 583هـ (1187م) التي قادها إحدى معارك المسلمين الخالدة.

محاولة قتله:

لم ترق هذه السيرة وهذا الجهاد لأعداء الله من الباطنية الاسماعيلية الذين كان دأبهم محاربة المسلمين وخذلانهم, ونصرة الكافرين وإعانتهم, وبدلاً من أن يوجهوا سهامهم إلى أهل الكفر والإلحاد, يوجهونها إلى أهل الإيمان والصلاح كما فعلوا ذلك بقتل الوزير السلجوقي نظام الملك عام 485هـ وولده عام 500هـ.

وهذا ما أرادوه للسلطان صلاح الدين كذلك في أحد أيام سنة 571هـ وأثناء حصار عزاز (وعزاز بلدة تقع شمالي حلب وفيها قلعة حصينة, وحاصرها السلطان ثمانية وثلاثين يوماً).

و ينقل الإمام الذهبي في السير(ج21ص281) عن ابن واصل مؤلف كتاب "مفرج الكروب" في وصف المؤامرة التي انبرى لتنفيذها ثلاثة من الباطنيين جاءوا لقتل السلطان أثناء وجوده في خيمة أثناء حصار عزاز, وبدا عليهم الإصرار لتنفيذ جريمتهم فيقول :

" كانت لجاولي خيمة كان السلطان يحضر فيها, ويحض الرجال, فحضر باطنية في زي الأجناد, فقفز عليه واحد ضربه بسكين لولا المغفر الزرد [1] الذي تحت القلنسوة, لقتله فأمسك السلطان يد الباطني بيديه, فبقي –الباطني- يضرب في عنق السلطان ضرباً ضعيفاً, والزرد تمنع, وبادر الأميربازكوج فأمسك السكين فجرحته، وما سيبها الباطني حتى بضعوه. و وثب آخر، فوثب عليه ابن منكلان فجرحه الباطنى في جنبه فمات, وقتل الباطني, وقفز ثالث فأمسكه الأمير علي بن أبي الفوارس, فضمه تحت إبطه, فطعنه صاحب حمص ناصر الدين ابن أسد الدين شيركوه, فقتله, وركب السلطان إلى مخيّمه, ودمه يسيل على خدّه, واحتجب في بيت خشب, وعرض جنده, فمن أنكره أبعده ".

لقد أجاد ابن واصل في وصف هذا المشهد لهؤلاء الباطنيين المستميتين لقتل السلطان, وأجاد في وصف شجاعة السلطان صلاح الدين.

ولم تفل تلك الحادثة من عزم صلاح الدين كما روى ذلك القاضي ابن شداد المعاصر لصلاح الدين رحمه الله, بل إنه بعد أن وثب عليه الاسماعيلية, ونجّاه الله منهم استمر في جهاده وغزواته.

ويستمر الغدر:

وهذا الغدر والإغتيال لأبطال الإسلام لا يزال يتكرر دوماً من هؤلاء الزائغين بأصنافهم كلها من باطنية و ملاحدة وشيعية و مبتدعة.

ففي لبنان كم قتل الأحباش من أهل السنة وهم ساجدون لله في بيوته؟!

والشيخ إحسان إلهى ظهير في باكستان قتلته الشيعة!

ومسرحية إهدار دم سلمان رشدى الذى عجزت عنه إيران للآن مع أنها قتلت إمامين سعوديين في بلجيكا فى نفس الوقت الذى صدرت فيه الفتوى!!!

[1] زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة.

الراصد

وأخيراً الغدر و الإجرام الـذى لم يكشف كـاملاً بعد تجـاه المقـاتلين العرب في بغداد .

للاستزادة:

1- سير أعلام النبلاء – الإمام الذهبي ج21 ص278.
2- سيرة صلاح الدين الأيوبي – القاضي ابن شداد .
3- هكذا ظهر جيل صلاح الدين – د. ماجد الكيلاني .

الراصد

إيران والمعارضة العراقية: حدود التأثير وأهداف العلاقة

خالد السرجاني " صحفي بجريدة الاهرام "

يحاول هذا المقال عرض الموقف الإيرانى من الحرب الأمريكية على العراق، وقد كتب قبل اندلاع الحرب، وقد بات واضحاً أن إيران تسعى إلى أن يكون لها موطئ قدم في العراق مستغلة بعض الفصائل الشيعية والكردية, ولذا فإنها تقدم لها الدعم والمساعدة ضد بلدهم العراق......................المحرّر.

خلال الأسابيع القليلة الماضية كانت إيران محور اهتمام المراقبين المعنيين بالمسألة العراقية, ليس فقط بحكم جوارها للعراق, التي تواجه تهديدات امريكية تستهدف شن عملية عسكرية لإسقاط النظام العراقي الحاكم, ولكن بحكم دورها المحوري في الاتصالات التي أجرتها حركات وفصائل المعارضة العراقية بهدف عقد مؤتمرها في لندن, أو تلك التي جرت بهدف تأمين عقد الاجتماعات التنسيقية في مناطق الإدارة الذاتية الكردية في أي من أربيل أو صلاح الدين, وهذه الاتصالات فضلاً عما تؤكده من امتلاك إيران لمفاتيح مهمة ذات صلة بالمسألة العراقية, فهي تعني أيضاً أن لديها تأثيراً مهماً على بعض فصائل المعارضة العراقية الرئيسية, فأكبر التنظيمات العراقية في الوقت الراهن وهو " المجلس الأعلى للثورة الاسلامية " يقيم زعيمه محمد باقر الحكيم في إيران, ويمثل الشيعة العراقيون الذين تبلغ نسبتهم 60%[1] من السكان حسب معظم التقديرات, وهذا التنظيم المعارض الوحيد الذي يملك قوات نظامية هي " فيلق بدر " وبالتالي هو الوحيد الذي يملك إمكانية عملية للمشاركة في إسقاط النظام العراقي الحالي, كذلك فإن مقاطعة هذا التنظيم وزعيمه لأية أنشطة أو اجتماعات تعقدها أو تقوم بها المعارضة العراقية تعني أن هذه الأنشطة والاجتماعات محكوم عليها بالفشل, أو لا تمثل المعارضة الحقيقية, من هنا نستطيع أن نفهم الزيارات المكوكية التي قامت بها قيادات من فصائل المعارضة قبيل مؤتمر لندن من أجل إقناع باقر الحكيم بالحضور وبمشاركة تنظيمه فيها, كذلك يمكن لنا فهم الأسباب التي جعلت من إيران قبلة للمعارضة العراقية, حيث استقبل مسئولون إيرانيون كبار أقطاب المعراضة العراقية واحداً تلو الآخر بحفاوة غير عادية, فضلاً عن ذلك أعلنت إيران عن اتخاذها الاجراءات التي تجعل طريق الوصول إلى مؤتمر المعارضة في أربيل أو صلاح الدين مفتوحاً أمام الوافدين من الخارج من رجال المعارضة إلى شمال العراق.

---

[1] مختارات ايرانية عدد 31 فبراير 2003

[?] هذه النسبة وإن كانت ترددها وسائل الإعلام بكثرة إلا أنها غير صحيحة, وقد فنّد الكاتب العراقي د. سليمان الظفيري هذه النسبة في مقاله المنشور في مجلة البيان عدد فبراير 2003، ومجلة الوطن العربي 9/5/2003 ويؤكد د. الظفيري أن العراق دولة سنية, وأن السنة سواءً كانوا أكراداً أو عرباً أو من التركمان هم الأكثرية.

التنسيق الإيراني الأمريكي

يضاف إلى ذلك كشف بعض وسائل الإعلام الأمريكية عن اتصلات تمت بين إيران والولايات المتحدة أسفرت عن إتفاق بين الجانبين على إقامة قناة مفتوحة بينهما خلال تعامل الولايات المتحدة مع المسألة العراقية, وشمل الاتفاق حسبما ذكرت هذه الوسائل, إزالة القيود الإيرانية عن تحرك المجلس الأعلى للثورة الاسلامية في العراق وقواته العسكرية " فيلق بدر " والسماح بإشراكه بشكل مؤثر وفعال في الحرب على العراق, وذلك مقابل اعتراف الولايات المتحدة بدور للمجلس وزعيمه في رسم خريطة الحكم المستقبلي في العراق.

ولكي نفهم رهانات إيران الحالية على المعارضة العراقية, هناك بعض النقاط الجديرة بالتناول, وفي مقدمتها, جذور العلاقات الإيرانية مع المعارضة العراقية بفصائلها المختلفة, وموقع علاقات إيران مع المعارضة العراقية في السياسة الإيرانية الخاصة بالمسألة العراقية, وما هي أهداف إيران من هذه العلاقات وما يسعى إلى تحقيقه منها.

1-العلاقات مع فصائل المعارضة العراقية:

يقسم باقر ياسين أحد رموز وقيادات المعارضة العراقية مراحل المعارضة العراقية إلى ست مراحل هي: المرحلة السورية, المرحلة الليبية, المرحلة الإيرانية, المرحلة الخليجية, المرحلة الأمريكية, ثم مرحلة انعدام الوزن, وإن كنا نرى أن هذه المعارضة, ومنذ أشهر قليلة مضت, عادت إلى المرحلة الأمريكية, خاصة في ضوء سياسة الإدارة الجمهورية الحالية إزاء المسألة العراقية, وفيما يتعلق بالمرحلة الإيرانية فهي في رأينا تشكل جذور علاقة إيران الاسلامية, وليس الشهنشاهية بالمعارضة, ففي رأي باقر ياسين أن انتصار الثورة الاسلامية في إيران شكل نقلة نوعية كبيرة في مستوى الأنشطة التنظيمية والسياسية وعلاقاتها بالعالم الخارجي.

وخلال ذلك نمت عدة حركات وأحزاب دينية جديدة وظهر قادة دينيون سياسيون حزبيون وغير حزبيين برزوا كقادة ومجاهدين شعبيين أخذت أسماؤهم تلمع سريعاً في الأوساط السياسية وتتردد على نطاق واسع, وقد ساعدت أخطاء النظام في بغداد وإجراءاته القمعية العلنية في مطاردة واضطهاد وسحق أتباع هذه الأحزاب على انتشارها ونموها السريع واتساع شهرتها وتطور استعداداتها الدفاعية في مواجهة تطورات المرحلة السياسية والعسكرية التي شملت دخول العراق في حرب نظامية مع إيران, وقد ركزت السلطات العراقية ضغوطها ومطارداتها الدموية ضد هذه الحركات والأحزاب من دون تفريق واعتبرتها أحزاباً عميلة ومدانة وخائنة يجب تصفيتها بالكامل وإبادة أعضائها خاصة أتباع حزب الدعوة الاسلامية الذي قام أحدهم بمحاولة فاشلة لاغتيال طارق عزيز في بغداد بما أدى إلى إصدار الحكومة قانوناً استثنائياً خاصاً يتعلق بالعقوبات الصارمة الواجب فرضها على أعضاء هذا الحزب التي تصل إلى عقوبة الإعدام على كل من يثبت انتماؤه إليه أو من يقدم مساعدة لأحد المنتمين إليه.

وقد أخذ الصراع بين السلطة والأحزاب الدينية, بعـداً طائفيـاً بعد تنفيذ حكم الإعدام في الإمام محمد باقر الصـدر الإمـام المقلد لعمـوم الشـيعة, وعدد آخر من رجـال الـدين الشـيعة من عائلة الإمـام الحكيم الـتي تحظى باحترام ونفوذ واسع بين شيعة العراق, وكان طبيعياً في ظل هذه الأوضاع أن تحظى هـذه الأحـزاب العراقية الاسـلامية بالاهتمـام والرعاية من قبل الثـورة والدولة الإيرانية الاسـلامية فضـلاً عن مسـاندتها للأحـزاب الكردية العراقية والتيارات الدينية الاسلامية الكردية.

وقد ظنت بعض أطـــراف المعارضة العراقية أن الوضع في إيـــران لا يختلف عن بـاقي الحكومـات والـدول الـتي اسـتطاعت المعارضة سـابقاً التقــرب بسـهولة وإقامة علاقــات معها أو خــداعها واختراقها بشـكل من الأشــكال, ولكن أثبت الإيرانيــون أنهم محنكــون, فقد وضــعوا مقــاييس واعتبارات شديدة ودقيقة وصارمة تحدد نوع العلاقة الـتي يمكن أن تقيمها إيران مع هذا الطرف أو ذلك.

وكان التقسـيم الإيـراني يـوزع الأحـزاب والكتل السياسـية إلى أحـزاب إسلامية وأخرى علمانيـة, ولكن على الـرغم من ذلك نجح بعض العراقـيين من رموز المعارضة في انجاز بعض الصفقات الخاصة ببيع النفط العـراقي أو المســاعدة في تنفيذ بعض صــفقات الســلاح لإيــران والحصــول على العمولات عنها في الخارج.

ولم يكن الأمر يخلـو, حسب قـول ياسـين, من بعض المواقف الغامضة وغير المفهومة التي اتخـذها الإيرانيـون تجـاه بعض العراقـيين, وقد كـانت تتذبـذب بين التشـكيك بهم إلى حد الخيانة وبين الثقة المطلقة فيهم خلال فترة قصيرة من الـزمن, وبعد توقف خط ليبيا من العمل والنشـاط بـدأت المعارضة العراقية تسـتخدم الخط الـذاهب إلى طهـران حـتى صـار يعج بالمسـافرين السياسـيين المعارضـين العراقـيين من كل الأشـكال ذهابـاً وإيابـاً, ووضع كثـير من الأشـخاص والحركـات السياسـية أنفسـهم تحت تصــرف الإيرانــيين بكل المســتويات الإيرانيــة, وكسب رضــاهم وثقتهم ومــودتهم والحصــول منهم على الــدعم الإداري والإجــرائي والسياسي والمالي.

الأحزاب الكردية

وفي بداية المرحلة الإيرانية ســادت الفوضى السياســية وقلة الخــبرة لدى المسـئولين الإيرانـيين المعممين واسـتطاع بعض العراقـيين اسـتثمار عدم معرفة بعض المسـئولين في إيـران بالشـئون السياسـية ودفعهم إلى مواقف وآراء خاطئة بل ومضحكة بعد تزويدهم بمعلومات كاذبة ومختلقـة, ولكن هـذا الوضع لم يسـتمر طـويلاً وأصـبحت علاقـات إيـران بالمعارضة العراقية تقتصر على الأحزاب الكردية خاصة الاتحاد الوطـني الكردسـتاني والحركة الاسلامية الكرديـة, وكـان هـذا الموقف يـأتي انطلاقـاً من موقف إيراني ثابت تجـاه الشـعب الكـردي, وأصـبحت إيـران من خلاله تلعب دور الطرف الأكثر تأثيراً على حركة الشعب الكردي التاريخية بصورة مطلقـة, والطــرف الأكـثر قربـاً وتماسـكاً مع الأكــراد في العــراق بغض النظر عن اعتبارات أخرى, وتحاول إيـران على الـدوام, وعلى الـرغم من التطـورات

المرحلية التي بدت بعد ذلك, أن يكون موقفها منسجماً ومتوافقاً مع الموقف الإيراني التاريخي الثابت تجاه الأكراد منذ بضعة قرون ماضية وحتى اليوم, ويستطيع المتتبع لعلاقة الأكراد العراقيين بإيران أن يجد تواصلاً ودياً وتوجهاً عاماً قد يزيد وينقص في الدرجة لكنه ثابت يستند إلى الحرص على استمرار الصلة وتوفير الحماية والدعم بجميع الأشكال والمستويات للشعب الكردي إزاء ما يواجه من أزمات وأخطار منذ القرن السابع عشر وحتى اليوم.

المجلس الأعلى

أما الطرف الآخر الذي يحظى بدعم ورعاية إيران فهو " المجلس الأعلى للثورة الاسلامية " وهو التنظيم الشيعي الرئيسي, وعلى الرغم من استمرار حزب الدعوة إلا أن هامشيته دفعت إيران إلى تركيز جل دعمها على هذا التنظيم, ولعل من بين الأسباب التي لعبت دوراً في هذا الأمر العلاقات الروحية التي تجمع بين شيعة العراق وإيران, فضلاً عن الصلات المباشرة بين الحوزات العلمية لكلا البلدين, إضافة لما تتمتع به عائلة الحكيم التي يتزعم أحد أفرادها هذا التنظيم من احترام في إيران, خاصة لدى القيادات الدينية والسياسية الحاكمة, وكانت إقامة الحكيم في إيران أيضاً أحد أسباب تمتين العلاقة بين إيران وهذا التنظيم العراقي المعارض, وقد حظي المجلس بتمثيل قوي في اجتماع لندن وما اسفر عنه من مؤسسات وهيئات تنسيقية, الأمر الذي دفع بعض التنظيمات الهامشية في المعارضة العراقية إلى الانسحاب من المؤتمر احتجاجاً على معاملة الولايات المتحدة لهذا التنظيم واعتبرت أن هذه المجاملة هي من نتائج المغازلة الأمريكية لإيران لكي تسهل الأخيرة للولايات المتحدة العملية العسكرية المنتظرة ضد العراق مثلما فعلت بشأن عمليتها في أفغانستان, ولكن من البديهي أن إعطاء " المجلس " هذا الدور ناتج عن عدة عوامل في مقدمتها تماسكه وامتلاكه ميليشيات عسكرية, فضلاً عن حجم السكان الشيعة بالنسبة إلى سكان العراق, وتدرك الولايات المتحدة أن الدور الرئيسي للمجلس سوف يقوي من الوزن الإقليمي لإيران بعد العملية العسكرية وهذا الأمر لا تريده الإدارة الأمريكية في ظل استهدافها عزل إيران ومحاصرتها إقليمياً.

2-السياسة الإيرانية الحالية إزاء العراق:

حتى هذه اللحظة لا نستطيع القول أن هناك سياسة إيرانية متماسكة إزاء التطورات الراهنة للمسألة العراقية بل إن المتأمل للتصريحات الإيرانية الخاصة بها سوف يلاحظ الازدواجية المعهودة, والانقسام الواضح بشأنها, بما يعبر عن الصراع السياسي الضاري بين جناحي السلطة: المحافظين والإصلاحيين.

اتجاهات

ففي الوقت الذي تتخذ فيه إيران إجراءات على الأرض يعتبرها بعض المراقبين أنها تتكيف مع مطالب الضربة الأمريكية والاستعداد لمرحلة ما بعد صدام, نلاحظ تصعيداً شديداً في لهجة المرشد الأعلى للثورة السيد علي خامنئي المعارضة للولايات المتحدة الأمريكية على خلفية موقف

الأخيرة من المسألة العراقية واستعداداتها لشن عملية عسكرية تستهدف إسقاط النظام الحالي وإحلال نظام موال للولايات المتحدة بديلاً عنه, وهذه الازدواجية تفتح الباب أمام تأويلات وتساؤلات متعددة في مقدمتها ما إذا كانت تعبر عن انقسام في رأس السلطة الإيرانية او على عدم حسم السياسة الإيرانية إزاء هذه التطورات, أو أنها تعبير عن توزيع للأدوار بهدف تحقيق أكبر فائدة ممكنة لإيران في حال غزو الولايات المتحدة للعراق, وأيضاً في حال التراجع عن هذا الغزو.

تيار خاتمي

والمتابع للسلوك الايراني إزاء العراق لن يجد صعوبة في اكتشاف أن هناك رؤيتين بشأن الحملة العسكرية الأمريكية ضد العراق, يعبر عن كل رؤية جناح من أجنحة السلطة, فالإصلاحيون يرون أن الادارة الأمريكية الحالية عاقدة العزم على إنهاء المسألة العراقية خلال وقت قصير, وسوف تنهيها بالطريقة التي أعدت لها, وبالتالي فإن إيران ليست في وضع يمكنها من الوقوف في وجه السياسة الأمريكية, فضلاً عن أن العراق ونظامه البعثي الحالي ليسا هما اللذين يمكن التضحية من أجلهما وفي رأي بعض أنصار هذا الرأي فإن الحملة الأمريكية ضد العراق تمثل فرصة ذهبية لإيران من أجل فتح حوار مع الإدارة الأمريكية الحالية, بما يسمح لها بإزالة العقبات التي تحول دون تطبيع العلاقات بين الجانبين ويفتح المجال أمام علاقات بناءة بينهما في المستقبل وبما يحول دون قيام الولايات المتحدة باستهداف النظام الإيراني بعد العراق, وفي رأي هؤلاء أن هناك مكاسب عديدة سوف تعود على بلدهم من هذا الموقف, في مقدمتها أنها سوف تلعب دوراً رئيسياً في تحديد شكل الحكم العراقي في المستقبل, بما يحول دون أن تكون العراق مصدر تهديد دائم لإيران, أما إذا وقفت إيران في وجه السياسة الأمريكية فإن ذلك سيعطي الولايات المتحدة مبرراً لأن تأتي بحكومة عراقية موالية بصورة كاملة لها, وبالتالي فإن هذا النظام سوف يكون معادياً لإيران.

تيار خامنئي

أما وجهة نظر المحافظين فهي ترفض هذا الرأي جملة وتفصيلاً وتحذر من مخاطر وجود دولة أخرى بعد أفغانستان على الحدود مع إيران موالية تماماً للولايات المتحدة لأن هذا الأمر يغري الأخيرة باستهداف إيران من أجل اسقاط نظامها الاسلامي, خاصة وأن هناك أصوات في الكونجرس الأمريكي, وأوساط على صلة بالادارة الأمريكية تطالب بهذا الأمر, والعملية العسكرية في العراق سوف تسهل على الولايات المتحدة حصار إيران واستهدافها, ويذكر هؤلاء أن العاملين المصلحي والأيديولوجي يجعلان الولايات المتحدة تسعى إلى حصار إيران وعزلها وإسقاط نظامها الاسلامي, فأيديولوجياً يحكم الولايات المتحدة عصبة من اليمين المتشدد تسعى إلي فرض الهيمنة الأمريكية سياسياً واقتصادياً وثقافياً على العالم, ومصلحياً اصبحت الولايات المتحدة تستورد 50% من استهلاكها من النفط. ولما كانت العراق وإيران من كبريات الدول التي تملك احتياطياً كبيراً من النفط فإن السيطرة عليهما أصبح أمراً ملحاً من اجل مستقبل الاقتصاد الأمريكي.

الراصد

الربح والخسارة

وبالتــالي يمكن القــول أن الاتصــلات الــتي تتم بين إيــران وأركــان المعارضة العراقية تتنــاغم مع آراء تيــار الاصــلاحيين الخاصة بالمســألة العراقية وتطوراتها الراهنة, يضاف إلى ذلك أن هناك معلومات تـتردد بـأن تحركـات بـاقر الحكيم ولقاءاته تتم بالتنسـيق مع الـرئيس الإيـراني محمد خاتمي أو بعض كبار معاونيه, ولكن هذا الأمر لا يعني أن إيران قد حسمت خياراتها بشأن المسألة العراقية, بل يبدو أنه ما زالت لـدى النخبة الإيرانية الحاكمة حسابات معقدة ومركبة لمسـألة المكسب والخسـارة, خاصة في ظل التحركات الإقليمية الـتي تسـتهدف منع الحـرب الأمر الـذي قد يجعل إيران معزولة إقليمياً في حال ما إذا أخذت مواقف لا تتنــاغم مع بقية دول المنطقة و خاصة وأن الدولة الوحيدة التي تؤيد الحرب هي إسرائيل

وبالتالي فإن اللقاءات الـتي تتم بين إيـران ورمـوز المعارضة تـأتي في إطـار الاستكشـاف ودراسة حسـابات المكسب والخسـارة, وأيضـاً لتأكيد مركزية الـدور الإيـراني في إنجـاح أو افشـال أية سياسة امريكية تجـاه العراق, ولتأمين جانب معظم فصائل المعارضة العراقية, خاصة وأن إيران تملك خطوط اتصال متعددة بمعظم هذه الفصائل, وتضع خطوطـاً حمـراء على بعض هذه المسائل, وفي هذا الصدد لا بد من الاشارة إلى قيام أحمد الجلبي زعيم ما يسمى بالمؤتمر الوطني العراقي والذي يعتبر بمثابة حامد قرضــاي المنتظر في العــراق, لما يتمتع به من علاقــات قوية مع الإدارة الأمريكية, لأن تنظيمه يعتبر الأكثر قربـاً وتبعية للولايـات المتحـدة, بزيـارة لإيران لكنه فشل في لقاء محمد باقر الحكيم, الأمر الذي يعطي مؤشرات حول أن هناك حدوداً لا يسـتطيع الحكيم أن يتخطاها أو حـدوداً لا تسـتطيع إيران أن تضـغط على الحكيم بـأكثر منهـا, وحـول تمتع الأخـير باسـتقلالية وحرية في الحركة لا تجعله ورقة ضــــغط او لعب في أيــــدي السياسة الإيرانية.

3-ماذا تريد إيران من المعارضة العراقية؟

إضــافة إلى العلاقــات التقليدية الــتي تجمع إيــران بكل من المعارضة الشيعية والكردية, التي لا يمكن لها بـأي حـال من الأحـوال أن تتخلى عنها في الوقت الراهن, خاصة في ظل حسم المعارضة العراقية خياراتها حول المشــاركة بصــورة أو بـأخرى في عملية اســقاط نظــام صــدام حســين واستثمار العملية العسـكرية الأمريكية المنتظـرة ضد العـراق لتحقيق هـذا الهدف, هناك العديد من الأهداف الأخرى الـتي تسـعى إيـران إلى تحقيقها من جراء علاقتها الحالية مع معظم فصائل المعارضة العراقية, ولكن وقبل ذكر هـذه الأهـداف لا بد من الاشـارة إلى نقطة غاية في الأهمية وهي أن علاقات إيـران مع المعارضة العراقية في الـوقت الـراهن وهي وإن كـانت تركز أساسـاً على المجلس الأعلى للثـورة الاسـلامية ويـأتي بعـده الاتحـاد الوطــني الكردســتاني بزعامة جلال طالبــاني, إلا أنها منفتحة على معظم الفصائل ما عدا تلك التي لا تمتلك قواعد سياسية على الأرض, أي شديدة الهامشية, أو تلك التي تعتبرها إيـران بمثابة أداة في يد السياسة الأمريكية وهذا الانفتاح يستهدف تحقيق أمـرين, الأول تـأمين جـانب النظـام الحـاكم في عراق المستقبل الـذي سـوف يكـون تعـددياً يشـارك فيه معظم هـذه

الراصد

الفصائل, وبالتالي فإن إيران ترى أن هناك خطورة في أن تلقى بكل ثقلها وراء تنظيمات محددة قد تستبعد في المستقبل, أو قد يكون لها دور هامشي, فضلاً عن أن تركيز إيران على تنظيمين فقط قد يدفع الولايات المتحدة إلى استبعادهما من اجل تقليل النفوذ الإيراني على عراق المستقبل, ويمكن أيضاً ان يستفز بقية التنظيمات والفصائل المعارضة.

أما الأمر الثاني فهو أن هذا الانفتاح يستهدف معرفة كافة التطورات المطروحة من كافة الفصائل, بما يساعد إيران على رسم سياسة واضحة ومتماسكة خاصة بالعراق, أي أن عدم حسم هذه السياسة حتى الآن هو أحد اسباب انفتاح إيران على جميع فصائل المعارضة العراقية.

إيران والمعارضة العراقية: الأهداف

أما عن اهداف علاقات إيران بفصائل المعارضة العراقية في الوقت الراهن فهي متعددة ولكن يأتي في مقدمتها 1-تقليل مخاطر إسقاط الولايات المتحدة للنظام العراقي, لأن هذا الأمر وإن كان يمثل سابقة خطيرة في المنطقة قد تغرى الولايات المتحدة بتكرارها في إيران, خاصة باستخدام الذريعة نفسها التي استخدمت ضد العراق وهي امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل, إلا أن وجود حكومة عراقية تعددية للمشاركين فيها علاقات مباشرة سابقة مع إيران يعطي للأخيرة الشعور بأنها شاركت في هذا الحدث, وبالتالي لن تعاني من تأثيرات سلبية له, 2-أما الهدف الثاني فهو استخدام هذه التنظيمات للحصول على تطمينات أمريكية غير مباشرة تتعلق بعدم استهداف إيران في المستقبل وفي هذا الصدد يمكننا الاشارة إلى ما نقلته وسائل الإعلام حول قيام محمد باقر الحكيم بنقل رسائل متعددة بين الولايات المتحدة وإيران حول تطورات المسألة العراقية والاشارة أيضاً إلى أن جلال طالباني زعيم الاتحاد الوطني الكردستاني عندما زار إيران في منتصف شهر يناير الماضي عقب زيارة قام بها للولايات المتحدة الأمريكية, قال أنه يحمل تطمينات أمريكية واضحة لإيران حول عدم استهدافها مستقبلاً, وحول تجنيبها النتائج السلبية للعملية العسكرية للعراق.

3-أما ثالث أهداف إيران من علاقتها بالمعارضة العراقية فيتعلق بأن إيران تريد أن تلعب دوراً ما في رسم مستقبل العراق بما يحقق مصالحها الوطنية من جهة ومصالح سكان العراق من الشيعة من جهة أخرى, وكلا الأمرين مرتبطين وغير منفصلين, وترى إيران أن علاقتها بالمعارضة العراقية سوف تمكنها من هذا الأمر, ولكن السؤال المطروح حالياً هو: هل تستطيع إيران بعدما ثبت خطأ تصوراتها بشأن أفغانستان, وبعدما سيطرت الولايات المتحدة تماماً على أفغانستان, بما يشكل تهديداً للمصالح الإيرانية في آسيا الوسطى, هل تستطيع الرهان مرة اخرى على السياسة الأمريكية, وعلى التطمينات الأمريكية الزائفة؟ نعتقد أن الإجابة على هذا السؤال قد تفرض على إيران إعادة ترتيب أولوياتها بشأن سياستها الخاصة بالعراق, وأيضاً بشأن رهاناتها حول المعارضة العراقية.

الثورة الإيرانية وجيلها الثالث

احتفلت إيـران هذا العـام بـذكرى انتصـار ثورتها الإسـلامية وسط علامـات استفهام كبيرة تشغل بـال قادتها ومثقفيهـا. بل وجمـوع الشـعب بمختلف طوائفه وفئاته وأحزابه, وتتركز علامات الاستفهام حـول مسـتقبل قضـايا الثـورة والنظـام بقدر أكبر من مستقبل المنطقة وأحداثها الملتهبة, ورغم أنه من البديهي أن تـؤثر أحداث المنطقة والحرب الأمريكية على العراق في مجريات الأمور داخل إيـران إلا أن هذا التأثير يحدث نوعا من المراجعة للقضايا الكبيرة التي تحتـاج إلى حسم على الساحة السياسية في إيران في إطار المناداة بالوحـدة الوطنية في مواجهة المسـتجدات الخارجية, ويـأتي على رأس القضـايا المثـارة موقف الجيل الثـالث للثـورة من تطـوير النظـام السياسي وتوجهاته الـتي سـتنعكس بالضـرورة على الوضع الاقتصـادي والاجتمـاعي والثقـافي, ومن ثم فـان الجيل الأول الـذي قـام بالثورة قلق من إنحراف الثورة عن مسارها الذي أفرز الجمهورية الإسـلامية بعد عهـود طويلة من الملكية الشاهنشـاهية ودعم نظـام ولاية الفقيه وقيـادة علمـاء الدين للمسيرة, كما أن الجيل الثاني الذي قاد حركة الإصـلاح السياسي قلـق من أن يؤدي عجزه عن إتمامها إلى تطرف الجيل الثـالث الـذي يتطلع لقيـادة الثـورة في المرحلة القادمة, يقـول المحلل السياسي علي رضا أحمد يـان: بـالنظر إلى الغضب الكامن بين أغلبية الجيل الثالث من عـدم تطـور الـبرامج الإصـلاحية الـتي وعد خاتمي مرتين بتنفيذها, يمكن أن يؤدي إلى اتساع المظـاهرات والاعتراضـات الطلابية واتجاهها إلى العنف أو القيـــام بحـــدث غـــير متوقع (همشـــهري في 22/11/2002).

جماعة فدائي الإسلام

من الواضح عودة ظهور جماعات ثورية متشددة كحزب الله, كانت قد أوقفت نشاطها مثل منظمة فدائي الإسـلام الـتي نـزلت السـاحة بكل ثقلها لقيـادة الجيل الثالث للثورة كما وضح من عنـوان أول عـدد لصـحيفتهم منشـورالأخوة (منشـور برادري) التي عـادت للصـدور بعد توقف طويل لتقـول في أبـرز عنـاوين الصفحة الأولى أن الجيل الجديد من فـدائي الإسـلام قد أمسك براية الجهـاد وهو ما يعـني وفق ما جاء

* مختارات إيرانية العدد 33 ابريل 2003

في مقالات الصحيفة أنه ينوي قيـادة الجيل الثـالث للثـورة متخـذا أسـلوب الجهاد.

منظمة مجاهدي خلق

وفي المقابل, شـجع نجـاح كل من بهـزاد نبـوي محمد بـاقر ذو القـدر ومرتضى الويري (قادة منظمة مجاهدي الثورة الإسلامية الـتي كـانت تضم سبع جماعـات جهادية مسـلحة عند قيـام الثـورة) بوصـول الأول إلى مقعد نائب رئيس السلطة التشريعية، والثاني إلى مقعد نائب قائد حراس الثورة الإسلامية، والثالث إلى مقعد رئيس مجلس العاصمة. شجعهم هـذا النجـاح على إحيـاء منظمة مجاهـدي الثـورة الإسـلامية لتتخذ مكانها على السـاحة السياسية وتضع جيلها الثـالث على منصة القيـادة تحت مظلة الإصـلاحيين. وعنـدما سـئل زعيمها بهـزاد نبـوي عما يقصد بقوله إننا مسـتمرون في

الراصد

طريقنا، أجاب بان عيون الأجنحة المنافسة للمنظمة مسلطة عليها, وهم يروجون دائما أن المنظمة لم تعد صالحة للقيام بدور مستقبلي، وأن المنظمة لم تعد شرعية بعد إن طلب ممثل الإمام الخميني في المنظمة في ذلك الوقت بحلها. وان الصدام مع المنظمة ليس أمراً جديدا، ونحن ندركه جيدا ونعتقد أن بعض العناصر المعارضة للإصلاح تعتبر المنظمة حجر عثرة في طريقها وحائلا دون وصولها لأهدافها، ولكننا لن نسمح لها بالضغط علينا. إن وجود منافسين كثيرين على الساحة هو رد فعل لحركتنا الإصلاحية وهم يشعرون أن ثبات موقف الإصلاحيين ومطالبتهم بزيادة صلاحيات الرئيس وتعديل قانون الانتخابات قد أوجد المجال لصدام أشد ولرد فعل أعنف مما يعني حركة مماثلة من جانب الإصلاحيين وتوقعات بإعلان حالة الطوارئ, ولكنني أؤكد أنها مجرد شائعات لإحراج الإصلاحيين ووقف حركتهم ولكننا مستمرون في طريقنا. (همشهري في 18/1/2003).

حزب التضامن

وعندما سئل إبراهيم أصغر زاده أمين عام حزب التضامن (وهو الحزب الذي انسلخ عن حزب المشاركة وتكتل الثاني من خرداد) عن سر عودته من جديد للساحة السياسية بعد فترة اعتكاف. أجاب بأنه رأى أن الوقت قد حان لجعل الحركة الإصلاحية حركة في إطار لا يسمح بسقوط النظام. ولقد رفعنا ثلاثة شعارات أساسية هي الحرية والمساواة والاخوة في مواجهة محاولات بعض الجنرالات والقادة للسيطرة على الساحة. لا يجوز للنخبة السكوت واللامبالاة فقد ولى زمن التسكين تحت دعوى الخروج من الأزمة. إنني لست محرضا للطلاب ولكني مدافع عن حقوق الناس ولا أقبل بالسكوت أمام تضييع الحقوق ولا أقبل بالراديكالية الأصولية ولا بالتطرف وان كنت أقبل بالراديكالية الدستورية. (إيران في 19/1/2003).

مكتب دعم الوحدة

أما مكتب دعم الوحدة (دفتر تحكيم وحدت) وهو يمثل التيار القوي بين الجماعات الطلابية الإسلامية وهو تيار قومي ديني يميل إلى المثقفين الدينيين في فكره السياسي ويسعى للتواؤم مع حزب المشاركة في أغلبه. لكن أقليته أكثر ميلا لمجمع علماء الدين المناظرين (روحانيون مبارز). وتسعى حركة هذا المكتب إلى أحياء الحركة الطلابية كقوة مؤثرة على الساحة. وقد أثبتت قوتها مع الأحداث خاصة مع صدور حكم إعدام اغاجري أستاذ الجامعة وأحد زعماء منظمة مجاهدي الثورة مما جعل الطلاب يطلقون على المكتب (قيادة خلق التوتر في الجامعات)، وقد قامت قوات الأمن باعتقال عدد من زعمائه. ثم أطلق سراحهم بأمر من الزعيم. ولعل توجههم الآن ينحصر في التفكير في كيفية تجاوز مرحلة خاتمي الإصلاحية (همشهرى في 30/11/2002).

ولاية الفقيه

لقد حاول أية الله خامنئى زعيم الثورة الإسلامية إن يلفت النظر إلى خطورة هذه القضية لأنها لا تهدد مستقبل النظام فحسب. بل تهدد

الراصد

الراصـ

المؤسسة الدينية والمــذهب الشــيعي في إيــران. لان عملية دمج الــدين بالسياسة نظرية راهن علماء الدين الشيعي بمستقبلهم عليها واخــذوا بكل حـزم على يد كل من عـارض هـذه النظرية حـتى ولو كـان منهم. وجعلتهم ثقتهم في هذه النظرية يقدمون الأمـاني والحلـول لجمـاهير الشـعب الـتي غامرت معهم بقبولها. وقد نجحوا في بادئ الأمر في تحقيق وحــدة وطنية بين أعــراق شــتى لم تتحقق بهــذا الشــكل من قبل ولا في عصر الدولة الصفوية التي جعلت المذهب الشيعي مـذهبا رسـميا لأول مـرة في إيـران وأقامت المؤسسة الدينية على نحو لم يكن له شبيه في العالم الإسـلامي. وقد أتـاحت تلك الوحـدة الوطنية للنظـام الصـمود أمام الضـغوط الأجنبية المعادية خاصة إبـان الحـرب العراقية الإيرانية الـتي كـان يمكن إن تعصف به. ورغم إن القيادة الإيرانية قد نجحت اكـثر من مـرة في تطـوير النظـام السياسي من الداخل مع إعطاء الجيل الثـاني الفرصة للتعبـير عن نفسـه. والحصـول على نصـيب من القيـادة سـواء من خلال السـلطة التنفيذية أو السلطة التشريعية إلا أن مفـاتيح التطـوير الحقيقي ظلت في يد القيـادات الـتي تتمركز حـول الـولى الفقيه في محاولة للإبقـاء على عناصر النظرية ورموزها. ومن هنا ظل التطوير حلقة مفقودة في ظل الصراع القــائم بين ممثلي الجيلين الأول والثــاني ومع سـعي الجيل الثـاني للاسـتعانة بالجيل الثالث لمناصرته ظهرت قضية خطورة موقف خـاص يتخـذه الجيل الثـالث وقد انتقد خامنئى خلال لقائه مع العاملين في أجهـزة الإعلام (4/2/2003) ضمن الاحتفال بذكرى الثورة أولئك الذين يحاولون تغيير ذوق الشـباب في حين أن الجيل الثــالث يتمتع بأنه طمــوح ولديه الطاقة والحيوية ومصــمم على المطالبة بالعدالة, مؤكدا أن الثورة رغم ما لها من سلبيات هي حركة مسـتمرة من اجل تغيـير جميع الأسس الخاطئة في المجـالات السياسـية والاقتصـادية والاجتماعية والثقافيـة. لـذلك طـالب بزيـادة قيم العدالة بين الناس والإبقاء على قيم الثورة في أذهانهم والمحافظة على الهوية الدينية والثورية وفضح تهديدات الأعداء ودعم الروح المعنوية للمسـؤولية والإدارة وتحديد العدو الأصـلي وتـرك الأعـداء الوهمـيين ودعم التفـاهم الاجتمـاعي وإيجاد الأمن النفسي للناس وتقوية الأمل في المستقبل وزيـادة حساسـية النــاس تجــاه محــاولات الأعــداء إيجــاد الفوضى في المجتمـع. كما حــذر هاشــمي رفســنجاني رئيس مجمع تحديد مصــلحة النظــام من أن العــدو يسـعى لإضـعاف مكانة علمـاء الـدين وولاية الفقيه وصـرف النـاس عن منجزات الثورة (همشهري في 2/2/2003م).

وفي هـذا الإطـار أكد خـاتمي أن من الضـرورات الهامة لنجـاح نمـوذج القيادة الشعبية الدينية الإجابة على التسـاؤلات والاحتياجـات الملحة للجيل الثـالث, وليس الحل في إنكـار هـذه التسـاؤلات والاحتياجـات, بل السـعي لتلبيتهـا. فـإذا رأينا أننا لا نملك القـدرة على ذلك فـإن علينا أن نعيد النظر في مرئياتنا (اطلاعات في 2/7/2002). ويقـول عبد الواحد موسـوى لارى وزير الداخليـة: إن إقــرار الصــلة بين الجيل الأول والثــاني والثـالث يخلق مجالاً لدعم النظام, وإن القيم والمفاهيم الـتي يحترمها الجيل الأول تنتقل بشكل ما إلى الجيل الثاني الذي لم يشارك في صنع أحـداث الثـورة. وهي الآن ما يطالب به الجيل الثالث (كيهان في 20/6/2002).

التأثر بنواب صفوي وعلي شريعتي

لقد كان حوار الصحف التي تعبر عن انتماءات الجيل الثالث للثورة مثار قلق القيـادات والنخبة السياسـية, حيث أثـارت الجـرأة الـتي اتسـمت بها صحيفة (منشور الأخوة) التي تتحدث بلسان منظمة فدائي الإسلام مجلتين إصلاحيتين هما مجلة المصابيح الأربعين (جلحراغ) وهو لقب لأحد أبناء أئمة الشـيعة أيضـاً وضـريحه في مدينة شـيراز الناطقة بلسـان الجيل الثـالث لحزب المشاركة الإسلامي أكبر الأحزاب الإصلاحية وصـحيفة روضة إيـران (كلستان إيران) التي يـرأس تحريرها أصـغر رئيس تحرير إيـراني وتتحـدث بلسـان تكتل الثـاني من خـرداد الإصـلاحي فقامتا بـالرد على موقف الجيل الثـالث لفـدائي الإسـلام واتهمتـاه بالتنـاقض لأنه يجعل قـدوة له رائـدين مختلفين فكـراً وسـلوكاً أحـدهما (نـواب صـفوي) صـاحب الفكر الثـوري المتطرف المعادي لليبرالية وصاحب السلوك الثـوري العـنيف والـذي قـام باغتيال رئيس وزراء الشاه (حسـين علي منصـور) وقد قبض عليه وأعـدم, أما الثاني فهو الدكتور علي شريعتي أستاذ علم الاجتمـاع والمفكر الثـوري المتزن صاحب النظرية الإصـلاحية الـتي دخلت ضـمن الفكر العـام للثـورة الإسلامية ضد نظام الحكم الملكي الرأسمالي المستبد.

كـانت الإثـارة واضـحة في افتتاحية منشـور الأخـوة (5/9/2002) الـتي تقــول: لقد جئنا لنقــول أيها المتحصــنون اللصــوص, أيها المتحفــزون المجرمـون, أيتها الثعـالب القـذرة هـاهو الجيل الجديد لفـدائي الإسـلام قد أمسك راية الجهاد مثل (نواب صفوي) مبايعاً مع أبناء الخميـني الكبـير من جنود التعبئة العامة (الباسيج) زعيمه وقائده تحت ظل ولاية إمـام الزمـان, ومستعداً لاقتلاع الظلم والفجـور في العـالم, كما حفلت الصـحيفة بالعديد من العناوين المثيرة, مثل: البرنامج الثوري لفدائي الإسلام يستهدف إدارة دولة إسلامية فلتقطع يد السارق بدلاً من أن يستريح في سـجن المجـون, ترويج سفور النساء في فندق الحرية بطهران, سندافع عن حقوق الفقـراء حـتى آخر قطـرة دم, وقد أكـدت المحللة السياسـية بـروين إمـامي أن ما حدث في يوم الطالب بلـور حقيقة هامة وهي أن الحركة الطلابية تعـترض على كل نوع من المطلق السياسي وأنها تمضي نحو الاستفادة من تجارب السـلف, وأن الجيل الثـالث من أجل تحقيق أمانيه يطـالب بآلية من نفس نــوع وعيه وعقلانيتــه, ويحبو نحو تقعيد الأصــالة الفكرية في هيكل حركته النشطة في مواجهة مع ثقافة العنف, فضلاً عن إعـادة بنـاء وتوسـيع قـواه الداخلية في إطـــــار ممارسة الفكر والابتعـــــاد عن المواجهة مع الحركة الإصلاحية (همشهري في 7/12/2002).

كـان من الممكن أن ينظر قـادة النظـام لحركة الجيل الثـالث على أنها اندفاعة شباب إلا أن ما أزعجهم هو تبني الجناح اليميني المحافظ لشــباب فدائي الإسلام رغم تطرفهم الثـوري الـذي يقـترب من اليسـار المتطـرف وذلك في مواجهة الإصلاحيين وجيلهم الثالث مما زاد الأمر تعقيداً لأن هــذا الجيل ســوف يســتقل عــاجلاً أو آجلاً وســوف يســحب خلفه الجيلين السابقين, ولن يكون الصـراع بين اتجـاهين في الجيل الثـالث فحسـب, بل سـيكون متعـدد الأطـراف أي بين أجيـال تمثل الثـورة بجناحيها المحافظ والإصـلاحي, وقد دفع هـذا الأمر قيـادات النظـام إلى محاولة إيجـاد منافذ للخروج من هذا المأزق مثل إعادة التأكيد على ضرورة التوحيد بين الحوزة الدينية والجامعـات لمواجهة التحركـات الطلابية الـتي تسـتهدف هتك قيم

النظـام, كما سـماها آية الله جنـتي رئيس هيئة الرقابة على القـوانين في خطبة الجمعة (20/12/2002).

الحوزة والجامعات

كانت الدعوة إلى التوحيد بين الحوزة والجامعـات كأسـاس إسـتراتيجي من أسس النظام وكنقطة التقاء لتثبيت قيم الثورة قد ظهرت منذ الشهور الأولى لقيام الثورة وخطت خطوات كبيرة نحو التطـبيق ولكنها اصـطدمت بدعوى الانطلاق والحرية من قبل الجيل الثـالث, وقد قـاد آية الله خـامنئى هذه المرة بنفسه إحياء هذه الدعوة مؤكداً أن الحـوزة والجامعة هما منـبر تشـجيع وتقعيد الحركة الفكرية للشـباب والإجابة على التسـاؤلات ودعم المناظرات العلمية وتنظير الأسـاليب, ودعا خـامنئي الحـوزة والجامعة إلى تحويل النظرية والفكر إلى قيمة عامـــة, مؤكـــداً أن حرية الفكر والقلم والبيـان ليست شـعارات دعائية وإنما هي من الأهـداف الأساسـية للثـورة الإسلامية وأن الحرية والأخلاق والمنطق إذا اجتمعوا على صعيد واحد فتلك بداية دورة جديـدة للابتكـار العلمي والفكر الـديني السـامي في المجتمـع، وقد أيد خـــامنئى مطلب الجيل الثـــالث بإنشـــاء ثلاثة كراسي علمية حـــرة لجمعيات علمية محايـدة ومتخصصة في كل الحـوزات والجامعـات، أحـدها للتنظير والثاني، للرد على التساؤلات والشبهات, الثالث للنقد والمنـاظرة, مضـيفاً إلى هـذا الاقـتراح أن لا يقتصر إنشـاء هـذه الكراسي على بعض الفـروع الفكرية الدينية أو العلـوم الاجتماعية والإنسـانية, بل يشـمل كافة العلـــوم النظرية والعملية وحـــتى العلـــوم الأساســـية, وأنه يجب التمهيد والإعداد الجيد ووضع الأسس لهذه الكراسي حـتى لا يهبط مسـتواها أو أن تصـــبح إعلاميـــة, كما طلب من إدارة الحـــوزة العلمية الدينية في قم أن تعطي الفرصة للمراجع وآيات الله العظـام والأسـاتذة والبـاحثين البـارزين في الحـوزة للمشـاركة في هـذا الأمـر، كـذلك طلب من المجلس الأعلى للثـــورة الثقافية ورئيسه إدراج تنفيذ هـــذا المشـــروع على رأس جـــدول أعمالـــه، معربـاً عن أمله في ألا يتعـرض المشـروع في مراحله التنفيذية لمعوقات بيروقراطية على أن يؤتي ثماره في الذكرى الخامسة والعشرين لانتصـار الثـورة الإسـلامية ومطالبـاً هـذا الجيل بـالحرص على الطـرح المنطقي للمثل العليا بلا يأس أو تعجل حتى تثمر وتزدهر لأن الجيل الثاني عـانى من الإفـراط والتفريط في حين أن سـبيل التلاقى والتكامل هو في النشـاط الاجتهـادي والإنتـاج الفكـري العلمي والـديني وليس في الجمـود والتحجر، ولا في العمالة والتقليد، وإن اتجاه الجيل الثالث لهذا السبيل في حد ذاته انتصـار وإنجـاز وينبغي أن نقـدره ونشـجعه. فعنـدما تـدرك النخبة نقطة التعادل بين الفوضى والدكتاتورية وتؤكد عليها نكـون قد بـدأنا عهـداً جديداً، لا ينبغي أن نخشى الحرية أو أن نهـرب من المنـاظرة أو أن نحـول النقد إلى سـلعة مهربة أو تشـريفات للمجاملـة، كما ينبغي ألا تـنزلق إلى تحويل المناظرة لجدال ومراء، والحرية إلى شراك الفضيحة والتهـرب من المسؤولية فالثورة ينبغي أن تبقى وأن يثمر برنامجها التاريخي والعـالمي. (همشهري في 6/2/2003) وقد عاد خامنئي ليؤكد هـذا المعـنى في كلمته إلى الحجـاج موضـحاً أن القيـادة الشـعبية الحقيقية هي القيـادة الشـعبية الدينية التي تستند إلى الإيمان والمسؤولية الدينية, وهي أكثر أماناً وصدقاً وشعبية من أمثال الديمقراطية الأمريكية التي تريد أن تفرضها على العالم

الراصد

العربي والإسلامي والتي تجلب الخسـارة بقـدر ما يجلب رصاصـها وقنابلها وصواريخها.(كيهان في 10/2/2003).

تطوير ولاية الفقيه

إذا كـانت قيـادة الثـورة الإسـلامية الحالية باسـتجابتها لبعض مطـالب الجيل الثـالث قد قـدمت بعض التنـازلات من أجل اسـتمرار نظـام ولاية الفقيه في الحكم فإن هذا يأتي في إطـار محاولة التفاعل مع المسـتجدات وتطـوير نفسـها مع الـوقت والأحـداث، فمن الواضح أن شـعار القيـادة الشعبية الدينية الذي رفعه الـرئيس محمد خـاتمي كأسـلوب لعمل القيـادة التنفيذية في فـترة رئاسـته الثانية ليس إلا تطـويراً لنظرية ولاية الفقيه وإلباسها ثوباً عصرياً ولعلها الصفقة التي عقدها خـاتمي مع قيـادة الثـورة عند ترشـيحه لفـترة رئاسة ثانية والـتي عـبرت عنها دموعه أمـام عدسـات التلفزيون بعد أن قدم أوراق ترشيحه، وتـأتي اسـتجابة خـامنئي المباشـرة لمطالب الشـباب الآن تطـويراً جديـداً لأسـلوب التعامل الشـعبي مع ولاية الفقيه، فالكراسي التي وافق عليها هي بمثابة قنوات اتصال متقدمة فتحها لهذا الغرض، فإذا نجحت التجربة فهذا معناه استمرار النظام مرحلة أخرى بدعم من الجيل الثالث للثـورة.

الراصد

الحوزة والأمة ومستقبل فلسطين

حوار مع الإمام الشيرازي

- **أجرى الحوار:** الشيخ زكريا داوود
- **تاريخ الحوار:** 14/5/1422 هـ
- **مكان الحوار:** منزل سماحة آية الله العظمى السيد محمد مهدي الشيرازي في قم المقدسة.
- **أعده للنشر:** الشيخ صالح جاسم آل عيد (عالم دين – السعودية)

أجرت مجلة البصائر الشيعية مقابلة مع المرجع الشيعي محمد مهدي الشيرازي قبل موته, نضعها أمام القارئ كي يتعرف على بعض جوانب التخطيط الشيعي وسعيهم لنشر مذهبهم بشتى الوسائل من خلال الكتب والمنشورات وإنشاء الجمعيات.... كما تظهر المقابلة منهج " اللاعنف " الذي يتبناه الشيرازي حيث يرى أن التصدي لليهود وظلمهم في فلسطين يكون بالاحتجاج! والمقابلة ننشرها كما هي على الرغم من ركاكتها وضعف لغتها وأسلوبها...المحرّر.

مقدمة (توطئة)

الإمام آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي(1347 – 1422هـ) قمة من القمم الشامخة, وشخصية عظيمة ساهمت بشكل كبير ليس في تطوير الواقع الشيعي أو المرجعي فحسب, بل شخصية ساهمت بشكل كبير في تطوير الفكر الاسلامي في جميع اتجاهاته الاصلاحية والتغييرية ومدرسته الفكرية وما تحمل من تنوع عظيم وكبير في الرؤى رائدة التطوير والعمل, وخصوصاً في واقعنا ومجتمعنا, حيث خرّجت هذه المدرسة الفكرية جيلاً مؤمناً بالتغيير والاصلاح, وأخذ هذا الجيل ينمو حتى اصبح شريحة واسعة من النخب الفكرية والسياسية والدينية والفقهية, فتأسست المدارس العلمية, والنوادي الثقافية.

* مجلة البصائر – العدد 27 – السنة الرابعة عشرة ربيع 1424 هـ 2003م.

والمراكز التي تمارس أنشطة توعوية متعددة, وكانت " مجلة البصائر " إحدى ثمار هذه المدرسة الفكرية العريقة, وقد كان لنا هذا اللقاء مع سماحة الإمام الشيرازي, في بيته المتواضع وفي تلك الغرفة المتواضعة, في تاريخ 14/5/1422هـ, اي قبل وفاته بما لا يزيد عن خمسة أشهر, وقد كان لقاءً ودياً, وكنا نشعر بتعامل الأب الموجه الذي غمر أبناءه بالعطف والمحبة, وقد تخلّل حديثنا المسجّل, بعض التقطعات التي غمرنا سماحة الإمام فيها بالكثير من التوجيه والمعلومات المفيدة, وها نحن نقوم بنشر هذا اللقاء لقرائنا الكرام, وتعبيراً منا بالوفاء والعرفان لمرجعنا العظيم.

البصائر: سماحة الإمام:يعتبر سماحتكم من رواد النهضة الحضارية, ومن الشخصيات المؤثرة في نشر الوعي الاسلامي داخل الأمة, وأنتم كذلك مرجعية دينية رائدة, وقد كانت الحوزة هي المحطة الأولى في تكوين شخصيتكم وتوجهاتكم النهوضية, فكيف تنظرون للحوزة خصوصاً بعد التحولات السياسية التي حدثت ونشوء دولة يقودها العلماء؟.

سماحة الإمام: في تصوري إن حوزاتنا لا تتمكن من فعل شيء إلا بشرط شورى المرجعية, مثلاً خمسة من المراجع في قم وثلاثة مراجع في أصفهان وأربعة في النجف يكوّنون مجلساً للشورى بينهم, يقود هذه الأمة في الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية, أما الأمور العبادية الفردية فكل واحد واجتهاده فيها, هذه الشورى ضرورية لقيادة الحوزة للأمة, اما أن يحضر المرجع إلى مجلس الشورى بنفسه أو يحضر وكيله.

أنا أتذكر قبل خمسين سنة أن (البابا) ومؤسساته كانت في الدرجة الثالثة من حيث عدد المبلغين, والأزهر كان ثانياً من حيث مبلغيه وعدد علمائه, والنجف كانت الأولى, اليوم انعكست الآية فالصحف تتحدث عن ستة ملايين مبشر مسيحي تحت سلطة (البابا), بينما الأزهر يمتلك مئتي ألف روحاني, وقم القوية بالحوزات الشيعية لديها أربعون الف عالم فقط, يعني خلال نصف قرن انعكس الوضع تماماً, ولذا ترى أن (للبابا) التأثير الأكبر.

وشخصياً قرأت في مجلة العالم الاسلامي (السعودية) السنة الماضية[1] أن (البابا) تمكن من تحويل ستين ألف إنسان إلى المسيحية يومياً, ستون ألفاً عدد هائل!

وقبل مدة جاءني ثلاثة أشخاص, سألتهم: من أين أنتم؟

قالوا: من طاجيكستان.

فسألتهم عن أوضاعهم.

قالوا: إن كل شيء سيء.

فسألتهم لماذا؟.

قالوا: إن خمسين ألف شيعي تحولوا إلى المسيحية.

من يجب أن يخطط لحفظ هذا الكيان وصيانته؟.

مراجع التقليد بدون شك... وكيف ذلك؟.

باتحادهم, فإن في الاتحاد قوة, والدعوة إلى الاتحاد والشوري, ليست في الأحكام العبادية الشرعية, فهذا يقول: الكر أربعين شبراً, أو ثلاثة وأربعين, لا كلٌّ على رأيه في هذه المسائل, أما ما يهم الأمة من قضايا السياسية والاقتصاد والاجتماع, وتبليغ الدين, والوقوف امام الكفار ومخططاتهم وألاعيبهم, كل ذلك يحتاج إلى شورى, وإلا فإن الحوزة ليست حوزة وهي كذلك اليوم!.

[1] سنة 1421 هـ

الراصد

العراق الذي كانوا يخافون منه أشد الخوف, العراق الذي أخرج الإنجليز على يد الميرزا محمد تقي قائد ثورة العشرين... وقد سمعتم به.

العراق اليوم تقتل مراجعه, في يوم قتلوا الشيخ البرجودي وهو مرجع تقليد ويوم آخر قتلوا الشيخ الغروي وهو مرجع تقليد كذلك, ويوم آخر قتلوا السيد بحر العلوم وكذلك السيد الصدر.

ومن يطالب بدماء هؤلاء المراجع؟!.

غاية ما نفعل أن نقيم مجلس فاتحة, ونبرق برقية تعزية... وهذا كل شيء!

الآن العالم في النجف الأشرف لا يتمكن أن يخرج من بيته, كيف كنا؟! وكيف صرنا؟! هذا هو شأن المرجعية.

كل ذلك وشورى المرجعية مفقودة والله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم قال ((وأمرهم شورى بينهم))[1],والرسول أمر بالشورى, وكان يستشير الناس, وكان يستشير حتى النساء في موارد متعددة.

قد تقول أن الشورى غير ممكنة ولكن على العكس هي ممكنة ولكن نحتاج إلى نشر ثقافة الشورى بين الناس, يعني أن تبيّن الشورى لألف إنسان, أو عشرة آلاف إنسان والآخر لألف ولعشرة آلاف, وأنا لألف إنسان ولعشرة آلاف وهكذا.

البصائر: في ظل التطور الكبير الذي حدث في العالم, وخصوصاً في العشرين سنة الماضية أصبحت المجتمعات متقاربة جداً كيف يقرأ سماحة الإمام مسيرة الحوزة العلمية, وهل قدمت ثقافياً وعلمياً ما كان يؤمل منها؟

سماحة الإمام: لم تقدم ولا عشرة بالمئة, وهذا الواقع, وكل جماعة بقائدها ولا يوجد قيادة....

البصائر: منذ السبعينات ونحن نسمع أصواتاً كثيرة داخل الحوزة العلمية وخارجها تدعو إلى تجديد المناهج بحيث تتلاءم مع العصر والتطورات التي حدثت ما هي نظرة سماحة الإمام حول هذه الدعوة؟ وهل الحوزة حقيقة بحاجة إلى تجديد المناهج؟ أم بحاجة إلى شيء آخر؟

سماحة الإمام: في نظري تحتاج الحوزة:

أولاً: إلى شورى المرجعية.

ثانياً: أنا أذكر حينما كنت طالباً في العراق قرأت الطب شخصياً وكتبت في الطب, وقرأت الفلك, وقرأت الحساب, وقرأت الهندسة, وكانت كل المناهج موجودة في الحوزة.

فإذا كنت تقصد بتجديد المناهج أن تأتي بمناهج أقوى من المطول وأحسن وأفضل من المغني, أو افضل من الشمسية, فجئ بها, أما أن تأتي بكتاب لمجرد أنه جديد, أو مؤلفه جديد, فلا, يجب أن يكون المنهج البديل أفضل من القديم حتى يستبدل.

[1] سورة الشورى, الآية 38

الراصد

البصائر: سيدنا في داخل الحوزة العلمية وخصوصاً في إيران تيارات فكرية متعددة كالمدرسة الفلسفية, ما وجهة نظركم سيدنا حول هذه المدارس؟.

سماحة الإمام: فيها أخطاء كبيرة في الحقيقة.

وفي أيامنا في العراق لم يكن أحد يقرأ للمدرسة الفلسفية أبداً, صحيح أن شرح الباب الحادي عشر كان متعارفاً عليه, لكن الفلسفة لم تكن أبداً في بلادنا, وحتى في قم في زمن السيد البرجوردي (1292 – 1380 هـ) لم تكن تدرّس الفلسفة, فقد كان تدريسها محرماً, فقد قام السيد البرجوردي بسد الأبواب التي كانت تدرّس الفلسفة.

وفي تصوري أن تطور تدريسها اليوم هو أمر مؤقت لأن المرجعية مخالفة للفلسفة.

البصائر: الحوزة تعتبر من اهم القنوات التي تربي الشخصيات العلمية وخصوصاً داخل الإطار الشيعي, لكن ما نراه في القرن الأخير أن الحوزة لم تنجب شخصية قوية تؤثر بشكل كبير فيها وبالأخص في الجانب العلمي فما هي اسباب ذلك؟.

سماحة الإمام: سبب ذلك أن الحوزة العلمية في المائة سنة الأخيرة أبتليت بالاستعمار, الميرزا الكبير (1230-ـ 1312هـ) حارب الاستعمار البريطاني في إيران وهذا يأخذ من فكره وجهده ووقته, والإنسان ليس له وقتان, مرة يحارب ومرة يعمل, وهكذا كان الوضع بالنسبة لبقية العلماء والمراجع, بعد ذلك جاء الآخوند الخراساني (1255-1329هـ) صاحب الكفاية, وحارب الاستبداد في إيران في قصة مشهورة ومعروفة بالمشروطة.

الميرزا محمد تقي (ت1321هـ) حارب الاستعمار البريطاني في العراق أما العلماء الذين جاؤوا بعدهم مثل السيد الحكيم (ت1390هـ) والسيد المرعشي (1315-1411هـ) ما كان عندهم وقت واقعاً, نفس السيد أبو الحسن الأصفهاني (ت 1365 هـ) حارب, ولكن رأى أنه لا يتمكن فترك, السيد الحكيم كان من المحاربين وقد قال لي بنفسه: إنه كان من المحاربين, السيد المرعشي قال لي بنفسه: أنه من المحاربين.

تشكيل الأحزاب

البصائر: سماحة الإمام أنتم من الداعين وبشكل كبير إلى تشكيل التنظيمات والأحزاب في الأمة الاسلامية وتعتبرون هذا الأمر أحد عوامل النهضة, لماذا لم تتجه الحوزة العلمية هذا الاتجاه النهضوي والعصري؟

سماحة الإمام: الخوف من الأحزاب – وقد تحدثت عن هذا الأمر[1]- كانوا يخافون من الأحزاب بكثرة,لأنهم رأوا الحزب الشيوعي في العراق, ورأوا الحزب البعثي, فخافوا من الأحزاب.

شيوعي, بعثي, قومي, ديمقراطي منحرف, ولهذا خافوا من الأحزاب.

---

1 راجع كتاب: السبيل الى انهاض المسلمين, تأليف سماحة آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي (رحمه الله تعالى).

أنت إذا رأيت خياطاً يسيء, وخياطاً ثانياً يسيء, وثالثاً يسيء, تقول: إن كل الخياطين هكذا.

هذا هو الواقع... الأمثلة التي كانت في الساحة من الأحزاب كانت سيئة للغاية.

البصائر: سيدنا إذا كان هذا واقع الحوزة العلمية تجاه الأحزاب, فما هو السبيل لتوجيه الحوزة لتنشىء أحزاباً دينية نهضوية تحمل همّ الأمة وتسعى لقيادتها؟.

سماحة الإمام: أولاً يجب أن تتكوّن جماعة من المؤمنين الصالحين يتولون أمر الحزب, ويجب أن يعرف الناس انهم مستقيمون مستمرون في الاستقامة, عند ذلك تؤمن الحوزات, لأن الناس لا تؤمن بالأفكار المجردة, الناس يؤمنون بالأشخاص... هذه قاعدتهم.

الكنيسية في الغرب قامت بمفاسد[1] تعرفونها... مائة ألف إنسان في كل أوروبا كتبوا كتباً حول الأحزاب الحرة... مائة ألف إنسان, أنا قرأت عن هذا, بعدها تكوّنت الأحزاب.

الوحدة الإسلامية

كم قتلوا؟ وكم سجنوا؟ وكم عذّبوا؟ وكم شرّدوا حتى تكوّنت الأحزاب؟ لقد حدثت مآسٍ حتى آمن الناس بضرورة الأحزاب.

الآن أنا دائماً أدعو لتكوين الأحزاب حتى في مجالسي الخاصة.

البصائر: سماحة الإمام أنتم تعتبرون من أهم الشخصيات المرجعية البارزة التي دعت وتدعو للوحدة الاسلامية, وهذا ما نلاحظه في مجمل خطابكم الموجه للأمة ودعاتها, فهل قمتم سماحة السيد بمد الجسور مع علماء السنة لتقوية هذا الاتجاه خصوصاً في العراق والكويت؟

سماحة الإمام: نعم قمنا بمادرات في العراق, ذهبنا للسنة, وعلماء السنة أتوا إلينا.

كما أذكر كان هناك احتفال كبير في مدرسة أبي حنيفة, ذهبنا لهذا الاحتفال وأنا شخصياً ذهبت لهذا الاحتفال, ولما كان عندنا احتفال للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كربلاء دعونا السنة, فشاركنا علماؤهم.

أفكاري في مسألة الوحدة ليست جديدة, بل هي قبل خمسين سنة, لأنني أطالع كثيراً وأظن حتى الآن أني قرأت في حدود ستة آلاف كتاب من الكتب الاجتماعية والسياسية, والاقتصادية والثورية والفقهية, وغيرها, و كل كتاب أراه أقرأه سواء كان حوزياً أم لا وإلى الآن انا أطالع.

وفي الكويت نفس الشيء, السنة أصدقائي نذهب إليهم ويأتون إلينا.

---

[1] كانت الكنيسة في الغرب تمارس ضغوطاً شديدة على المجتمع وتعاقب كل من يفكر أو يكتب خلاف الآراء والمعتقدات التي تؤمن بها الكنيسة ورجالاتها, وقد أنشأت في القرون الوسطى محاكم عرفت فيما بعد بـ " محاكم التفتيش " وظيفتها البحث عن أصحاب الآراء والمعتقدات التي تخالف رأي الكنيسة لإنزال أشد وأقسى أنواع العذاب بهم.

والأخ السيد حسن ذهب إلى السنة, وذهب إلى شيخ الأزهر, وذهب إلى لبنان, وذهب إلى كل مكان, أما في إيران فظروفي لا تسمح... لكن هذه الأشياء لا تحدث بسرعة بل تطول, وتحتاج إلى زمن طويل.

البصائر: سماحة الإمام كان هذا داخل الإطار الاسلامي العام, أما إذا تحدثنا عن الوحدة داخل الإطار الاسلامي الخاص (الشيعي) فأنتم تدعون لشورى المرجعية وشورى الفقهاء, في هذا الاتجاه سماحة السيد هل تحدثتم مع المرجعيات الشيعية لتطبيق هذه النظرية على الواقع الشيعي؟.

سماحة الإمام: أنا دائماً أتحدث عن هذه القضية, وقد تحدثت مع الشيخ المنتظري عندما جاء لزيارتي هنا في هذه الغرفة, وتحدثت مع السيد صادق الروحاني, والسيد المرعشي, والسيد الكلبيكاني, عندما جاء كلٌّ منهم لزيارتي, وكذلك عندما كنت أذهب إليهم, لكني اقول: إن الواقع يتغير, ولكن ذلك الأمر لا يحدث بشكل سريع, وكان ردهم أن هذا الأمر لا يحدث, بدِّل فكرتك: لأن هذا لا يمكن أن يحدث وهو مستحيل.

فلسطين

البصائر: سماحة السيد ندخل في محور آخر, وهو قضية التعامل مع الدولة الغاصبة أو ما يسمونها بـ (اسرائيل) فنحن نلحظ تياراً سياسياً واسعاً داخل الأمة وفي الدوائر الغربية يدعو للتطبيع مع (اسرائيل) ما هو رأيكم في مثل هذه الدعوات؟ وكيف تنظرون إليها؟.

سماحة الإمام: في الحقيقة هذه الدعاية كتبت حولها كتاباً (هل يدوم الصلح مع اسرائيل) هل رأيتموه؟.

والآن عندي كتاب جديد اسمه (الأقصى المبارك) يطبع إن شاء الله.

أتصور أن امريكا هي الضاغطة فقط, والله سبحانه وتعالى يقول: ((ضُربت عليهم الذلة أين ما ثُقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس)) [1].

أما الحبل الذي من الله إذا أصبحوا (خوش أوادم) أي آمنوا بالله واتقوه.

أما الحبل الذي من الناس فهو اليوم أمريكا التي تسندهم, هذا نص القرآن.

في الحقيقة ضغط أمريكا هو المؤثر أما الدول العربية فهم خائفون ومشتتون بتفرقهم وكل ذلك بسبب حكامهم.

والكل ضد التطبيع واقعاً إلا أنهم يخافون من أمريكا, حتى أني سمعت قبل مدة في محطة الجزيرة الفضائية محاضراً اسمه (عبد الله النفيسي) كان عنده لقاء في الجزيرة حول التطبيع, وكانت كلمته جميلة, وقد أرسلت له خبراً أن يطبع هذه الكلمة حتى يراها الناس.

وكتبت في كتبي وهذا تصوري, أن اسرائيل ستزول من هنا, والدليل أن الصليبيين لما جاءوا إلى هنا بعد مائتين سنة أزيلوا, هؤلاء كذلك سيزولون,

---

[1] سورة آل عمران, الآية 112

لكن الآن يحتـاج إلى وقت: لأن امريكا معهم, سـابقاً بريطانيا كـانت مع اليهود والآن أمريكا بقوتها العارمة.

البصائر: سماحة السيد نلاحظ أن الـذين يسـعون للتطـبيع يسـعون في ذات الـوقت لمسخ عقلية الأمـة, فهل يمكن لهـؤلاء أن يحققـوا أهـدافهم؟ وهل يمكن للأمة أن تقبل بعملية التطبيع؟

سماحة الإمـام: ليس من المعقـول حـدوث ذلـك, وأتصـور غـير ممكن. لاحظوا الشاة صنع في طهران – وأنا قـرأت ذلك – أربعة عشر ألف مخمر في طهران وحدها, أربعة عشر ألف محل لبيع الخمرة الشاه أنشأها.

لكن هل بقيت؟!

كلا... في يوم واحد أزالوها, وأي شيء خلاف الأمة لا يمكن أن يحدث.. هـذا غـير معقـول, فقط امتحـان يمتحن الله به النـاس هـؤلاء وهـؤلاء ثم يذهبون.

الشـاه صـنع في كل مـدن إيـران ما عـدا قم, في كل مدينة مبغى أي (فاحشة خانة) باللسان الفارسي, صنع ذلك في كل مدينة, في شيراز, في رشت, في أصـفهان, في طهـران, في بروجـرد, في يـزد, وفي يـوم واحد كلها أزيلت: لأنها خلاف إرادة الأمة... هذا واقع.

الاستعمار الفرنسي احتل الجزائر مائة وعشرين سنة وبقي فيها وجلب مليون فرنسي للجزائر, لكنه ذهب لأن الشيء الـذي هو خلاف إرادة الأمة لا يبقى لكنه يطول ويقصر. هذا هو الأمر لا أكثر ولا أقل.

البصـائر: سـماحة السـيد الإمـام يطـرح الإعلام الغـربي وكـذا الإعلام العربي تبعاً له مسألة تدويل مدينة القدس وتقسيمها باعتبار أن القـدس – كما يقولون – لا تخص دينـاً بعينـه, بل هي لكل الـديانات, ما هو رأيكم في هذه القضية؟.

سماحة الإمام: هذا كذب... كـذب..., لأن القـدس للمسـلمين أكـثر من ألف سنة فكيف يقسمونها, مثل ذلك مطـروح لتقسـيم العـراق إلى وسط وشمال وجنوب هذا كله كذب, لأن البلاد بلاد اسلامية ونحن عندما كانت القدس بأيدينا هل كنا نمنع اليهود؟

كلاّ.

هل كنا نمنع النصارى؟

كلاّ.

اللاعنف

فالقـدس كونها للجميع صـحيح لكن عنـوان التقسـيم غـير صـحيح, هـذا كذب واضح لأنها بلاد اسلامية.

البصـائر: في ظل الهجمة الشرسة الـتي تشـنها آلة الحـرب والبطش والإرهاب الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني بجميع فئاتـه, كيف تنظـرون لمستقبل الشعب الفلسطينيي المظلوم؟

سماحة الإمام: ياسر عرفات كـان يعتمد على السـلاح, وفي كل شـيء يعتمد على السلاح في خطاباته في كلامه, بندقية, بندقية... بندقية, أنا أرسـلت له خبراً قلت له: هذا غلط, لن تتمكن من فعل ذلك بالسلاح, بعد مـدة تنـازل عن البندقية, بعدها اعتمد على الحجارة, كذلك أرسلت له خبراً جديـداً, أي قبل سنة, قلت له: هذا غلط كذلك, لأن السلم هو الذي يقدّم.

شخصـياً رأيت في التلفزيـون, أن الفلسـطينيين يرمـون الإسـرائيليين بالحصاة, ويقيناً أنتم رأيتم ذلك, فيأتون بهم ويكسـرون أيـديهم ويقطعونها بالساطور.. هل هذا صحيح؟.

" اللاّعنف " هو الحل: مظاهرات, وإضرابات, هذا هو الـذي يقـدّم أمّا الحصـاة غلط.

البصائر: سماحة السيد لكن كيف يمكن مواجهة إسرائيل وهي تستخدم الـدبابات والأسـلحة الفتّاكة المتطـورة, ضد شـعب أعـزل, كيف يمكن مقاومة كل ذلك بالمظاهرات والإضرابات فقط؟

سـماحة الإمـام: لا, هـذا أمر مـؤقت اسـتخدامه, انظر عنـدنا مثـالان, المهاتما غانـدي في مقابل بريطانيـا, والثـاني مانـديلا, وكلاهما في مقابل أعتى قوة.

الواقع أن اللا عنف هو الـذي يتقـدّم, لأن اللا عنف هو العقـل, والسـلاح منطلقه البدن, والعقل مقدّم على البـدن, وقد ذكـرت هـذا الأمر في واحد من كتبي[1].

الإعلام

البصـائر: سـماحة السـيد كيف يمكن لنا كشـعوب ونخب وحركـات إسلامية مواجهة عملية التطبيع؟

سماحة الإمـام: اطبع مليـون كتابـاً وأنشـرها, بيّن مفاسد التطـبيع وأنه خطر جداً.

أنا شخصـياً رأيت اليهـود في العـراق, لأنهم كـانوا في العـراق قبل خمسين سنة, في النجف كانوا, في كربلاء كـانوا, في بغـداد بكـثرة كـانوا, في العمارة بكـثرة هائلة كـانوا, أنا رأيتهم وعـرفت أسـاليبهم ونفسـياتهم, اليهودي يبيع زوجته وأولاده في سبيل المال.

وعدم التطبيع يحتاج إلى إعلام, هل عنـدك شـبكة إنـترنت بخمسـين أو مائة لغة؟ لا.

عندك محطة فضائية؟ كلاّ.

أما هم فكل شي عندهم.

عندك مجلة أو جريدة؟

وحتى هذه (البصائر) كل ثلاثة أشهر تصدر, كم شخصاً يقرأها؟!

[1] راجع كتاب: ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين, وكتاب: الصياغة الجديـدة: تـأليف الإمام الشيرازي.

هناك امرأة في الغرب اسـمها أجاثا كريسـتي, هـذه المـرأة طبعت من كتبها مليارين, اطبع أنت ملياري كتـاب ووزعهـا, مليـاران...! وأنا اشـتريت كتبها حتى أنظر ماذا كتبت فيها...

البصائر: سماحة السـيد على السـاحة العربية نلحظ تغـيراً طفيفـاً نحو إصـلاحات ديمقراطية ومجيء قيـادات شـابة لسـدة الحكم والسـلطة وقد قـــامت ببعض الإصـــلاحات, فما هو رأيكم في ذلـــك, وهل يمكن لهـــذه الإصلاحات أن تبقى؟.

سماحة الإمام: هذا كله كذب, وهذه الاصلاحات تبقى فترة وتـزول, في نظري أنها فترة وتزول, وبالفارسي يقولون: " اسـتخون بنـدي " يعـني أن الانسان عنده شكل خاص من العظام, وتنظيم العظام للبلاد الاسلامية كله كذب, حتى يأتي غاندي ويخلصها أو فكر غاندي هذا هو الواقع.

الموقف الإيراني من الحرب الأمريكية على العراق

أحمد منيسي

مـر الموقف الإيـراني من الأزمة العراقية بتطـورات متعـددة ومتناقضة منذ دخلت هـذه الأزمة مرحلتها الدقيقة بعد تصـاعد التهديد الأمـريكي بغـزو العراق, إلى أن وقعت الحرب الأمريكية بالفعل على العـراق في العشـرين من مارس الماضي.

فبعد أن كانت إيران قد أعلنت أكثر من مرة أنها ترفض الغزو الأمريكي للعراق, وكان هناك نهج متشدد شديد الوضوح ضد هـذا الغـزو في السياسة الخارجية الإيرانية, عادت إيران لتلتزم الصمت حيال التطورات الأخـيرة في تلك الأزمة, وقبل أن تقع الحرب, الأمر الذي تم تفسيره على أنه تراجع في هــذا النهج, على خلفية توافق ربما يكــون قد حــدث بينهــا وبين الولايــات المتحدة استناداً إلى توافقها السابق في الحـرب الأمريكية ضد أفغانسـتان. ثم جاءت المبادرة الأخـيرة الـتي أعلنتها طهـران في أوائل الشـهر الماضي لتعود بالموقف الإيراني مرة أخرى إلى قلب الأحداث.

هـذا الغمـوض والتنـاقض في الموقف الإيـراني يجد تفسـيره في طبيعة الإشـكاليات القائمة في العلاقـات الإيرانية العراقية من جهـة, وإشـكاليات العلاقات الإيرانية الأمريكية من جهة أخرى.

إشكاليات العلاقات العراقية الإيرانية:

مثلت إيران والعـراق إضـافة إلى السـعودية ثلاثة محـاور متنافسة على زعامة النظـام الإقليمي الخليجي, وقد حـاول العـراق أكـثر من مـرة خلال النصف الثـاني من القـرن الفـائت تكـريس وضـعه كقائد لهـذا النظـام على حسـاب القـوتين الأخـريين, وظل هـذا الهـدف أحد أهم أولويـات السياسة الخارجية العراقية بـرغم تغـير شـخوص من يحتلـون قمة النظـام السياسي في بغداد, وقد انبثق هـذا المسـعى العـراقي عن شـعور عميق لـدى الدولة العراقية بأحقيتها وجدارتها في تبوء هذه المكانة استناداً إلى جملة

*مختارات إيرانية: العدد 33 ابريل 2003.

من الحقائق الموضـوعية على الأرض تـرجح كفة العـراق بالمقارنة مع دول الخليج الأخرى, وهو الشـعور الـذي تصـاعد بعد أن انتقل العـراق من نظـام ملكي محافظ إلى آخر ثورى في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي.

فبعد تأسيس النظام الثورى في العراق عام 1958 على خلفيـة الثـورة الـتي أطـاحت في ذلك العـام بالنظـام الملكي – الـذي كـان قد طـالب في أواخر عقد الثلاثينــات هو الآخر بضم الكــويت – عمل العــراق على توســيع نفــوذه الإقليمي في منطقة الخليج الـتي كـانت دولها ما زالت تــرزح تحت الاستعمار البريطـاني, وقد جـاءت محاولة العـراق لضم الكـويت في العـام 1961 ضمن هذا المسعى العراقي.

انقلاب جزب البعث

وفي العام 1968, وعندما شهد العراق الانقلاب الـذي قـام أحمد حسن البكر ضد حكم الـرئيس عبد الـرحمن عـارف, جـاء في البيـان الأول لقـادة الانقلاب في صـــدد تحديد سياســاتهم الخارجيـــة: " إن حـــزب البعث لديه مسئولية تاريخية في الانطلاق بالوحدة العربية الشـاملة من منطقة الخليج, والانقضـاض على رمـوز التبعية والعمالة وكل من تسـول له نفسه الوقـوف في وجه المشـــروع النهضـــوى البعـــثي, وأن على أنظمة الخليج أن تتهيأ للتعامل مع عراق آخر غير الذي درجت عليه ". وكـان هـذا النهج الجديد في السياسة الخارجية العراقية يحمل في الـــوقت نفسه تهديـــداً للدولة الإيرانية التي كانت في ذلك الوقت تمثل مرتكزاً قوياً للنفوذ الأمريكي في المنطقة.

ومن هنــا, فقد دخل العـــراق الثـــورى في مصـــادمات قوية مع كل من السعودية وإيران, الأمر الذي جعله في مواجهة مع الولايـات المتحـدة الـتي طرحت نفسها كوريث شرعي للنفوذ البريطاني في المنطقة بعد اضـمحلال هذا الأخير منذ نهاية الستينات, واختفائه تماماً مع مطلع السبعينيات تاركاً المجـال للولايات المتحدة الأمريكية.

وقد حاول العراق في مطلع السـبعينيات اسـتغلال حالة الفـراغ الأمـني الـــتي نجمت عن الانســحاب البريطـــاني من الخليج, لتمديد نفـــوذه خـــارج حـــدوده الإقليميـــة, الأمر الـذي أدخله طيلة عقد السـبعينيات في صـراع مع السـعودية وإيـران, وحـاول كل طـرف من هـذه الأطـراف الثلاثة توسيع رقعة نفوذه الإقليمي, على حساب الطرف الآخر.

التمدد الإيراني

وانتهى هذا العقد بتفوق كفة الجانب الإيـراني, الـذي اسـتطاع – بعد أن فشلت مطالباته بضم البحـرين – أن يمـدد نفـوذه في مناطقه الحدودية مع العراق بمـوجب اتفاقية الجزائر الموقعة بين الطـرفين عـام 1975, بعد أن كانت إيران قد احتلت الجزر الإمارتية الثلاثة: طنب الكبرى وطنب الصـغرى وأبوموســـي, وعمقت نفوذها في منطقة المـــدخل الجنـــوبي للخليج بعد أن كانت قد ساعدت سلطنة عمان في القضاء على ثوار ظفار.

وقد كان هذا التفوق الإيراني يصب في صالح تدعيم النفـوذ الغـربي في المنطقة, باعتبار أن إيـران كـانت في هـذا الـوقت حليفـاً للغـرب, ومن ثم, فإن هذا التفوق الإيـراني لم يسـبب إزعاجـاً لهـذا النفـوذ, بيد أنه ومع قيـام الثـورة الإسـلامية في إيـران عـام 1979, والـتي كـانت بمثابة الزلـزال في منطقة الخليج, خـرجت إيـران من تحالفها مع الغـرب, وقد ظلت في نفس الـوقت بعيـدة عن أي ارتبـاط بالسـوفييت, حيث رفعت الثـورة شـعار " لا شـــرقية ولا غربية " وقد اعتـــبرت الولايـــات المتحـــدة أن إيـــران, حليفتها السابقة، قد أصـبحت مصـدر خطر كـبيراً على مصـالحها في الخليج, خاصة بعد أن رفع الإمام الخميني شعار تصدير الثورة إلى الخارج.

وهنا, وجد العراق الفرصة سانحة للانقضاض على الجمهورية الإســلامية الطامحة، بدعم من الولايات المتحـدة وبتأييد من دول الخليج الـتي خشـيت تمدد النفوذ الإيراني إليها, ولكنه خرج من حرب الثماني سـنوات ضد إيـران منهك القوة بعد أن كان قد أنهك أيضاً القـوة الإيرانيـة, ولكن تـوازن القـوة بين الطرفين ظل قائماً وظل العراق طامحاً لتوسيع نفوذه الإقليمي.

الراصد

مجلس التعاون

وقد خـــرج العـــراق من حربه مع إيـــران ليجد دول الخليج الست قد أسست فيما بينها ومنذ العـام 1981 مجلس التعـاون الخليجي, وقد تجاهل العـــراق أو لم يـــدرك حقيقة كـــون مجلس التعـــاون يقف ضد طموحاته الإقليمية وحصره داخل حدوده إبان تفرغه للحرب مع إيران والدعم الكامل الذي لاقاه من دول الخليج لصد المد الثورى الإيراني.

غزو الكويت

وعـاد العـراق مع مطلع التسـعينيات, ليمـارس مغـامرة أخـرى بغـزوه للكويت من أجل تزعم النظام الإقليمي الخليجي. وهنا وجدت إيران نفسـها مرة أخرى أمـام تحدي توسع النفـوذ الإقليمي للعـراق. ولكن لأن المتضـرر الأكبر من هذا التوسع كانت الولايات المتحدة فإن إيران لم تجد نفسها في حاجة حتى للمشاركة في التحالف الدولي لتحرير الكويت, فـاكتفت بجـانب الحياد, وتكفل هذا التحالف برد النفوذ العراقي وحصره داخل حدوده.

وعلى الرغم من أن العراق وفي غمار الحصـار الـذي فـرض عليه عقب حـرب الخليج الثانية قد حـاول تطـبيع علاقاته مع إيـران, وخطى البلـدان خطـوات ملموسة في هذا الاتجاه، فإن الملفات الموروثة عن الحرب بينهما, قد حـالت دون المضي بعيداً في هذا الاتجاه.

ملفات عالقة

ويأتي في مقدمة هذه الملفات الرؤية الإيرانية لتطبيع العلاقات اسـتناداً إلى القرار رقم 598 الذي ترى طهران أن العراق لم يطبق إلا أجـزاء قليلة منه.. فـالقرار ينص على دفع تعويضـات تقـدرها طهـران بــ تريليـون دولار, وتقـدرها الأمم المتحـدة بـــ 116 مليـار دولار, وفي هـذا السـياق نجد أن طهران تعتبر الطائرات العراقية التي لجأت إليها خلال حرب تحرير الكـويت جزءاً من التعويضات, بينما يطـالب العـراق بعودتها إليـه. أما الملف الثـاني فهو ملف الحدود المشتركة بين البلدين, حيث تريد إيران العودة إلى اتفـاق الجزائر عام 1975 وترسيم الحدود لتشمل مناطق كثـيرة تعتـبر أنها ضـمن حدودها مثل سيف سعد أو تلك المناطق الغنية بالنفط وجزء منها في جـــزر مجنون. والملف الثالث هو ملف الأسـرى لـدى العـراق حيث تقـدر طهـران عدد الأسرى الموجودين حاليـاً في العـراق بخمسة آلاف أسـير. ومن جانبه يقدر العراق عدد أسراه في إيـران بــ 29 ألفـاً منهم غـير مسـجلين " فيما يقـدر عـدد المفقـودين بسـتين ألفـاً تقريبـاً ". ويؤكد في المقابل أن عـدد المفقـودين الإيرانـيين في سـجونه لا يتجـاوز الــ 400 أبلغـوا اللجنة الدولية للصليب الأحمر برفضهم العودة إلى إيران.

وبالإضـافة إلى هـذه الملفـات هنـاك ملف شـائك يتمثل في أن كلا من العراق وإيران يؤوى تنظيمـات معارضة للنظـام في البلد الآخر حيث تـؤوى بغـداد منذ عـام 1986 منظمة مجاهـدى خلق الـتي يصل عـدد مقاتليها إلى حوالي 30 ألف عنصر تدعمهم دبابات وطـائرات هليوكوبـتر, بينما يوجد في إيـران أهم حركـات المعارضة الشـيعية العراقية ممثلاً في المجلس الأعلى لثورة الشيعة في العراق.

إيران الخاسر الأكبر:

هـذه الإشـكاليات الـتي تغلف العلاقـات العراقية الإيرانية كـانت تـدفع بالضرورة في سـبيل تبـنى موقف داعم للإطاحة بنظـام صـدام حسـين, أي تأييد الحرب الأمريكية على العراق للتخلص من هذا العدو اللدود ولكن ومن ناحية أخرى, فـإن إيـران تـدرك أنها من أكـبر الخاسـرين من هـذه الحـرب, حيث أن ضرب العراق وإن كان هدفاً بذاته للولايات المتحـدة إلا أنه سـوف يؤدي إلى استكمال عملية حصار إيـران غربـاً على النحو الـذي تسـعى إليه واشـنطن بعد أن أحكمت الولايـات المتحـدة حصـارها لإيـران من الجهـات الثلاث الأخـرى, ففي الغـرب والجنـوب ترسو حـاملات الطـائرات الأمريكية في مواجهة السواحل الإيرانية, وفي الشرق اسـتطاعت الولايـات المتحـدة بعد الإطاحة بحركة طالبان تكـريس نفوذها في الأراضي الأفغانية وبـالقرب من الحدود الأفغانية الإيرانية,ومن الشمال ثمة نفوذ أمريكي كبـير من خلال تغلغل الولايات المتحدة في دول آسيا الوسطى.

وفي السياق نفسه, فإن إيران – وعلى الرغم من عـدم ارتياحها لوجـود صدام حسين عدوها اللدود على رأس السلطة في العراق – تشـعر بـالقلق الشديد لحدوث أي تغيير في العراق في الوقت الحاضر لأنه حـتى في حالة إذا ما أدت الحرب الأمريكية على العـراق إلى تفكيكـه, فـإن ذلك لن يعـني تحقيق الحلم الإيراني بدولة شـيعية في جنـوب العـراق تناصر نظامهـا, لأن الولايات المتحدة لن تسمح بتمدد النموذج الإيراني خارج حدوده, ناهيك عن أن العـــراق يتخذ الموقع الأول في " محـــور الشر " الــذي رتبته الولايــات المتحــدة, وإيــران المرتبة الثانيــة, ما يعـني أنها الهـدف المقبل للولايــات المتحدة, حال أنجزت مهمتها في العراق.

وبالإضــافة إلى ذلــك, فــإن الولايــات المتحــدة وفي سـياق رغبتها في التمكين للتفـــوق الإســـرائيلي في المنطقـــة, وبعد أن تتخلص من القـــوة العراقية, من المتوقع أن ينصب اهتمامها على إيران, لتسـييد إسـرائيل, بما يمكن من فرض شروطها للتسوية وإيجاد حل للصراع العربي الإسرائيلي.

كل هذه العوامل المعقدة دفعت طهـران إلى اتخـاذ موقف متشـدد في بداية الأمر تجاه الحملة الأمريكية ضد العراق, ولكن هـذا الموقف المتشـدد التزم الصمت في مرحلة لاحقة كما سبقت الإشـارة ما فهم ضـمناً على أنه تأييد لهذه الحملة جاء على خلفية توافق لابد أن يكون قد حدث بين طهران وواشنطن.

المبادرة الإيرانية:

وفي الواقع, فإنه كـانت هنـاك عـدة مؤشـرات تـدعم مثل هـذا التكهن, حيث شاركت المعارضة الشـيعية الـتي تحتضـنها طهـران مع بـاقي فصـائل المعارضة العراقية المدعومة من قبل الولايـــــات المتحـــــدة في عــــــدة اجتماعـات, بعضـها عقد في واشـنطن, وربما كـانت إيـران تسـعى إلى أن تتعامل مع الولايـات المتحـدة هـذه المـرة بالطريقة نفسـها الـتي تعامل بها الطرفان في الحرب الأمريكية على أفغانسـتان, أي أن يتم تنحية الخلافـات جانباً لتحقيق هدف الطرفين في الإطاحة بنظام صدام حسين دون أن يعني ذلك حصار إيران في مرحلة ما بعد صدام.

ولكن يبـدو أن هـذه الصـيغة لم يكن من الممكن تطبيقها من جديـد, فالولايـات المتحـدة ليست في حاجة إلى الـدعم الإيـراني بشـدة كما كـان حالها في الحرب ضد طالبان, حيث كانت تتمتع بنفـوذ قـوى في أفغانسـتان غير متوافر لها في العراق, كما أن القوات الأمريكية التي تنوي غزو العراق لـديها جبهـات أخـرى لشن الحـرب على العـراق أكـثر أهمية من الجبهة الإيرانية الـتي سـوف تقـدم في نهاية المطـاف دعمـاً لا يقـارن بـالمميزات الهائلة التي توفرها تلك الجبهات. ومن ناحية أخرى, فإن الولايـات المتحـدة تخشى بالفعل من أن تنجح إيران في اسـتغلال حالة الفـراغ الـذي قد ينجم عن الإطاحة بصدام حسين لتدعيم نفوذها في العراق والخليج معتمـدة على الطائفة الشـيعية, هـذا على جـانب الرؤية الأمريكيـة, أما فيما يتعلق بالبعد الخـاص بالرؤية الإيرانية نفسـها, فإنه وعلى الـرغم من غلبة الطـابع البراجماتي على السياسة الخارجية الإيرانية, فإن ملف العلاقة مع الولايـات المتحـدة مـازال محل شد وجـذب بين الإصـلاحيين والمحـافظين, وهـذا من شـأنه أن يعرقل من إمكانـات إقـدام إيـران على فتح حـوار مع الولايـات المتحدة, أضف إلى هذا أن الولايـات المتحـدة قد أعلنت بشـكل صـريح في الأسـابيع الـتي سـبقت الغـزو أنها تعـتزم حكم العـراق بعد صـدام بشـكل عسكري مباشر, ما يعني العدول عن خيار تنصيب المعارضة بالسـلطة, وما يعني أيضاً أن المعارضة الموالية لطهران سوف يتم تهميشها.

ومن هنا فقد جاءت المبادرة الإيرانية الـتي تم طرحها على لسـان وزير الخارجية كمال خرازى كمؤشر على تحول لافت في الموقف الإيراني, جـاء بالضـرورة على خلفية فشل واشـنطن وطهـران في الاتفـاق على صـيغة للتعاون الثنائي.

وقد تمحـورت هـذه المبـادرة حـول إجـراء اسـتفتاء تشـرف عليه الأمم المتحدة بشأن انتقال السلطة في العراق في إطار خطة لتجنب شن حرب على بغداد ودعوة المعارضة العراقية للمصالحة مع الـرئيس صـدام حسـين لتجنب إراقه الدماء.

ويمكن القول أنه كانت هناك عدة عوامل قد دفعت طهـران إلى إطلاق هذه المبادرة, فضـلاً عن فشـلها في التوصل إلى صـيغة للتعـاون بينها وبين واشنطن كما حدث في أفغانستان وتتمثل أهم هذه العوامل فيما يلي:

1-أرادت إيران الخـروج من العزلة الـتي يمكن أن تفـرض عليها بسـبب تأييـدها للحـرب أو حـتى التزامها الصـمت في ضـوء وجـود توجه عـربي وإسلامي ودولي مناهض للحرب.

2-ضغوط الرأي العام الداخلي, فالتوجه العام في إيـران كما في غيرها من الـدول العربية والإسـلامية هو ضد الحـرب الأمريكية المحتملة على العراق،وما يذكى هذا التوجه موروث العداء الشديد بين طهران وواشنطن.

3-انحسار الموقف الدولي المؤيد للحرب بعد التعاون الجيد الـذي أبـداه العراق مع القرار رقم 1441, وهو ما أفـرغ الحجج الأمريكية لهـذه الحـرب من مضـمونها, وكشف في الـوقت نفسه عن الأجنـدة الخفية للولايـات المتحدة من حربها ضد العراق, ومثل هذا الأمر يعد مقلقاً جداً لإيران.

وقد تلى هـذه المبـادرة إقـدام إيـران على مجموعة من الخطـوات لها مغزاها الهـام, في مقـدمتها استضـافتها لمـؤتمر للقـوى الشـيعية العراقية المعارضة عقد في 6 مارس الماضـي, على الـرغم من أن الإعلام الإيـراني أكد أن هذا المؤتمر لا يعقد بضوء أخضر من إيران. وتزامن مع هذه الخطوة تحرك قوات لواء بدر إلى شمال العراق, حيث تمركزت في هـذه المسـاحة الواقعة ضمن منـاطق شـمال العـراق الكردية الـتي تتمتع بـالحكم الـذاتي, وتتشكل هذه القـوات من عناصر من شيعة العـراق الـذين تـدعمهم إيـران والتي تعهـدت بمقاومة نظـام الـرئيس صـدام حسـين, فقد ظل أفـراد هـذا اللـواء ينتظـرون منذ عقــدين, وعلى وجه الخصـوص منذ الانتفاضة الـتي شهدتها مناطق الشيعة في جنـوب العـراق ضد صـدام حسـين عقب حـرب عــام 1991. تلك الانتفاضة الـتي سـحقتها قـوات بغـداد، بينما لم تحــرك الولايات المتحدة ساكناً.

وفي ســياق هــذه المرحلة الجديــدة لتقلب الموقف الإيــراني, عملت الولايات المتحدة على إرسال مجموعة من الإشارات المتناقضة إلى إيران. ففي الوقت الـذي جـددت فيه واشـنطن اتهاماتها لطهـران بـامتلاك أسـلحة نووية, على لسان وزير الخارجية كـولن بـاول، أعلن في 9 مـارس الماضي أن الولايات المتحدة والدول الأخرى اكتشـفت فجـأة أن إيـران متقدمة في برنامجها لتطوير أسلحة نووية أكثر مما كان العالم يعتقد, وكـان بـاول يعلق على مقال نشرته صحيفة تـايمز جـاء فيه أن الوكالة الدوليـة للطاقة الذرية ترى أن إيران استخدمت اكزافلورور اليورانيوم في محركـات الطـرد لـديها لاختبـار قـدرة هـذه المحركـات. في هـذا الـوقت أعلنت كل من الولايـات المتحــدة وبريطانيا أن عــراق ما بعد صــدام حســين لا مكــان فيه لمنظمة مجاهدى خلق.

وهذا الموقف الذي يبدو متناقضاً أيضاً من قبل الولايـات المتحـدة تجـاه إيران, هدفه تطمين هذه الأخيرة لكسب جانبها, أو بمعنى أدق تـأمين جانبها عن طريق سياسة العصا والجـــزرة, وهو ما يضع الجـــانب الإيــــراني في التحليل الأخـير في ورطة حقيقيــة حيـال التطـورات الحالية والمسـتقبلية للأزمة العراقية.

رد الفعل على الحرب:

وفي ســياق هــذا الموقف الإيــراني الــرافض للحــرب الأمريكية على العراق, جاء الإعلان عن رفضها حينما اندلعت فعلاً في العشرين من مارس الماضي, فعقب بدء هذه الحرب مباشرة أعلن وزير الخارجية كمال خـرازى أن هذه الحرب تفتقد إلى أي شرعية دولية ولا يمكن تبريرها بـأي حـال من الأحوال وأكد أنها يجب أن تتوقف فوراً وقال خرازي أن تلك الحرب سـوف تضيع جهود نصف قرن بذلتها كافة شعوب العالم لتعزيز دور الأمم المتحدة، مؤكداً على أن بلاده لن تدعم أياً من الطرفين المتصارعين.

أما المرشد الروحي للثورة الإسلامية السيد علي خامنئى, فقد أكد على أن الهـدف من هـذه الحـرب هو احتلال العـراق والسـيطرة على المنطقـة, والهيمنة على مصـادر النفط فيها, والحفـاظ على الكيـان الصـهيوني غـير

المشروع وشدد على ضرورة الوقف الفوري لهـذه الحـرب وضـرورة يقظة الشعب الإيراني حيال الأساليب التي تعتمدها الولايات المتحدة وبريطانيا.

ومن ناحيته قال الرئيس محمد خاتمي أن الولايات المتحدة تجد نفســها وحيدة وممارساتها لا تتمتع بـأي شـرعية وهي المسـئولة عن تهديد السـلام الدولي.

مقاربة ثقافية لسياسة إيران الخارجية

رحمان قهرمانبور(باحث في مركز البحث العلمي والدراسات الاستراتيجية الشرق أوسطية)

المؤلف: محمود سريع القلم

اسم الكتاب: السياسة الخارجية للجمهورية الاسلامية الايرانية تجديد نظري ونموذج في الإئتلاف.
الناشر: (طهران, مركز البحوث الاستراتيجي 2000) 172 صفحة.

يعرض رحمان قهرمانبور كتاباً للباحث والكاتب الشيعي محمود سريع القلم - وهو رئيس تحرير مجلة إيران والعرب –, والكتاب حول سياسة إيران الخارجية من منظور إيراني إصلاحي, وذلك لنتعرف على طريقة عملهم وفلسفتهم...المحرّر.

يقول المؤلف ان هذا الكتاب ليس أكاديمياً فحسب, فهو نتاج حواراته ومناظراته مع أكثر من 85 شخصية من صانعي السياسة المحترفين, وكذلك مشاركته خلال الأعوام الثلاثة المنصرمة في مؤتمرات محلية ودولية مختلفة, وهكذا فإن الكتاب يمثل خطوة أخرى في تجسير البون التاريخي بين النخبتين الفكرية والعلمية في إيران المعاصرة.

يقع الكتاب في ثمانية فصول, الفصل الأول عبارة عن مقدمة يتبعها سرد للنصوص النظرية حول السياسة الخارجية, والإطار النظري للمؤلف, وأربعة فصول عن مشاكل وإمكانات النجاح الكامنة لإئتلاف إيران مع دول في الجنوب, وفي الشمال, ومع الكتلة الاسلامية, وشرق آسيا, وفصل ختامي موجه سياسياً. ويستخدم المؤلف تقديرات إحصائية في بعض الفصول لإثبات ادعاءاته, وقد تكون هناك بعض الصعوبات في فهم الفروقات الدقيقة للمقترحات بالنسبة لمن ليس لديهم إطلاع وافٍ على آراء المؤلف الثابتة, وإلى حد ما يكمن ما يظهر أنه غموض في الإطار النظري في انعدام ذلك الاطلاع الوافي, لهذه المراجعة أربعة أقسام, القسم

* شؤون الأوسط العدد 110 ربيع 2003

الأول مخصص للإطار النظري الذي يسميه المؤلف "عرضية السياسة الخارجية" والقسم الثاني مكرس لمستويات التحليل والميثودولوجيا, أما القسم الثالث فيتألف من الافتراضات والافتراضات المسبقة, والقسم الأخير يتضمن التوصيات المتعلقة بالسياسة, والإشارة إلى أعمال المؤلف الأخرى قد تساعد القارئ على إدراك دقة الكتاب.

تفوق الثقافة السياسية

التفوق الفعلي للثقافة السياسية والجيوبوليتيكا الإيرانيتين هو لب مفهوم الإطار النظري الذي له قاعدتان:

القاعدة الأولى هي المتغيرات الثابتة للسياسة الخارجية والثانية هي طبيعة النظام السياسي ورجال الدولة, والأخيرة تعتمد على نوع الدولة.

فئات القاعـدة الأولى هي: تركيبة النظـام الـدولي: النظـام الاقتصـادي والمواصفات الجغرافية, الثقافة العامة والسياسة, وتتكون القاعــدة الثانية من: تحديد المصالح، نظام المعتقد، صنع القرار ومعالجة المعلومات, ومن وجهة نظر المؤلف فإن المتغيرات الثابتة أكـثر أهمية وتـأثيراً في السياسة الخارجية من طبيعة النظام السياسي, فلا تستطيع أي حكومة تجاهل هـذه المتغيرات, والجمهورية الإسلامية الايرانية ليست اسـتثناءً, على أن عناصر عدة تجعل من إيران بلداً دولياً, موارد إيـران للطاقة والجيوبوليتيكا الخاصة بهـا, والتوجه الغربي الأساسي في بنيتها الاجتماعية والاقتصادية يقود السياسة الخارجية لطهران نحو التعاون مع القوى العظمى.

وبـدلاً من افـتراض تفاعل بين مجموعـتي المتغـيرات, يعتقد المؤلف ضمناً بعلاقة أحادية تكـون للمتغـيرات الراسـخة فيها اليد العليـا, وينتج عن هـــذه النظـــرة الغائية مبالغة حـــول الثقافة السياســـية والجيوبوليتيكا الايرانيـتين, وكأحد أبنـاء الجيل السياسي الإيـراني الناشـىء, لا زلت أشك بتفوق الثقافة السياسـية الإيرانية مقارنة بـدول كتركيا أو مصر في منطقة الشرق الأوسط وفيما يرى المؤلف أن الأحداث السياسـية الأكـثر ضـخامة في تاريخ إيران المعاصـر, وهي الثـورة الدسـتورية وطمـوح الشـاه محمد رضا في أن يتحــول إلى القــوة الخامسة في سياسة العــالم, والصـــحوة السياسـية الاسـلامية, والخصخصة الاقتصـادية وتطـور المجتمع المـدني والسياسي, هي تجليات للمثالية في النظام السياسي الإيـراني, إلا أن ثمة شك في وجود مظاهر ثقافة سياسية إيرانية.

في الواقـع, من الصـعوبة بمكـان معرفة الـدليل الـذي ارتكز عليه في طرحه, وماهية التجليات الحقيقية لـذلك التفـوق لسـوء الحـظ, إن الـدليل السياسي لا يؤكد هذا التفوق على الإطلاق, وكما يقـول المؤلف نفسه في عمل آخر فإن الأسس القبلية لهذه الثقافة السياسية هي المصدر الأساس لفقـدان الإجمـاع بين النخب, وحـتى في الأمة وهكـذا, فـإن تفـوق الثقافة السياســية الايرانية في " عرضــية السياسة الخارجيــة" تشــبه النمـــوذج الفيبري (Weberian) المثالي.

ورغم أن المبادىء الثابتة يفـترض بها أن تكـون قـوى محركة للسياسة الخارجية الإيرانيــة, فــإن هـذا لايكفي لتفسـير المبــادىء الموجــودة في الكتـــاب, فـــالمؤلف يحقق في طموحــــات مختلفة – وحــتى متناقضة – للسياسة الخارجية لجمهورية إيــران الاســلامية, بيد أنه من المفــترض أن تلك الطموحات مقتصرة على النظام السياسي في مرحلة ما بعد الثــورة, وليس لها ســابقة تاريخيــة, ويمكن الـزعم أن بعض الطموحـات هي نتـاج الجمهورية الاســلامية, إلا أن بعضــها الآخر كالعــداء لإســرائيل والتمسك بالإستقلال والحرية, ليس كذلك, ويتوقع القارىء المتخصص أن يقرأ شـيئاً حول دور الأمن أو الجماعـات الإثنية في السياسة الخارجيـة, ولكن بسـبب التركيز على المتغيرات غير الراسخة, تم تجاهل هذين العاملين التاريخين, أخيرا, فإن الإطار النظري للمؤلف موجّه اقتصاديا بشكل غـائي, وهو يلمّح إلى أن النظرة العالمية للغـرب على أنه مركز النفـوذ في العـالم تتشـكل بفعل عوامل اقتصــادية وليس عوامل ايديولوجية أو أخلاقيــة, وعلى هــذا الأســاس على الثقافة ان تعبد الطريق لانبثــاق هــذا النــوع من النظــرة

العالمية, ففي المجتمع الدولي, تشكل الثقافة أداة وليس غاية, والهدف الأسمى لمعظم الدول في عالم اليوم هو تحسين نوعية المعيشة, وعليه, فإن السياسة الخارجية ينبغي أن تُرتب للسعي لهذا الهدف, وأعتقد أن هذا لا ينسجم مع مقارنة المؤلف السيكو-ثقافية التي تسلم بهيمنة العوامل الثقافية في المستقبل المنظور, والعلاقة الوثيقة بين النفط والاسلام تعزز هذا الاتجاه.

إذا ما تم اعتماد مقاربة المؤلف الثقافية, فعليه أن يقدر تركيز الرئيس محمد خاتمي على المسائل الثقافية الداخلية, بيد أن سريع القلم يعتقد أنه " في ما يختص بالجوهر فإن السياسة الخارجية الإيرانية لم تتغير كثيراً " منذ انتخابات العام 1997 ".

مستويات التحليل

القسم الثاني من المراجعة يتضمن مستويات التحليل والميثودولوجيا, ومع أن المؤلف لا يذكر مستويات التحليل صراحة, إلا أنه يمكن استنتاج وجود أربعة مستويات تحليل في " عرضية السياسة الخارجية " هذه المستويات هي الدولي والإقليمي والقومي والدون قومي أو الفردي ومقاربته الخاصة تقوده إلى أخذ المستوى القومي في الاعتبار, وهذا يؤثر على كل من طبيعة النظام السياسي الإيراني والآراء الثابتة لصانعي القرار فيه, لأن الثقافة الإيرانية جزء من الثقافة الشرق أوسطية, وربما يمكن القول إن الثقافة الشرق أوسطية القديمة هي البنية الثقافية الأكثر تميزاً في العالم لدى مقارنتها بالنماذج الغربية الأساسية.

في الكتاب رأي لافت, وهو أنه يعتبر الثقافة الشرق أوسطية عاملاً مهماً في التعامل مع السياسة الخارجية الإيرانية, لقد أهمل العديد من العلماء خصوصيات هذه المنطقة إلى حد بعيد, على الرغم من أهمية كونها المصدر الأول للنفط والغاز في العالم.

النقطة الثانية مكرسة للدور الذي يقوم به الفرد في السياسة الخارجية الإيرانية, فرغم أن بعض النقاد يلاحظون أن هذا الجانب متأثر بنموذج روزينو (Rosenau) يبدو للمراجعة أنها نتاج للحوارات المذكورة آنفاً والتي أجراها المؤلف, وليس نتاج المنظور النظري, وعلى هذا النحو, القادة -وخصوصاً الكاريزميون منهم -مهمون للغاية في الشرق الأوسط وعلى الرغم من هذا, ليس واضحاً كثيراً أي موقع يشغل الأفراد في " السياسة الخارجية العرضية " هل هم صانعو نظام المعتقد أو الثقافة السياسية".

إيران والغرب

لدى الإجابة على هذا السؤال: لماذا على إيران ضبط مشاكلها مع الغرب, يذكر المؤلف علاقة النفوذ – الهوية في النظام الدولي, والذي يعني ضمناً هيمنة الهوية الغربية, وبحسب المؤلف, ثمة ميل طبيعي للغرب لدى الإيرانيين, هم من يمكن أن يقبل ويُعجب بالغرب العلمي الصناعي, بيد أن هناك ميلاً قوياً لمقاومة اختراق الثقافة الغربية, وبالتالي اخلاقياتها وقيمها, هذا الميل المتناقض متجذر في الثقافة السياسية

والهوية القومية الإيرانيـــتين, وهنا يمـــزج المؤلف المســـتويين الإقليمي والقومي.

إن مقاومة الثقافة الغربية هي – إلى حد ما – مجازفة سياسـية شـرق أوسطية وهي أقوى في أوساط العرب مما هي لـدى الإيرانـيين والأتـراك, بـرأيي الغـرب كل واحد وفصل جوانبه المختلفة بهـدف ضـبط المشـاكل ممكن نظريـاً فحسـب, فالسـوق الحـرة والديموقراطية وحقـوق الإنسـان متلازمة بشـكل متزايـد, وكل هـذه مظـاهر مختلفة للهوية والتنـوير –في الواقع- الغربيين, واليوم علينا أن نؤكد بقوة أكبر تخطي الحـدود القومية – وحـــتى عولمة – هـــذه الهوية وأثرها في الهوية القومية لـــدول الشـــرق الأوسط (قد يجـادل البعض أنه في السـرد المسـتقبلي للهويـات القومية سـواء كـان ذلك من قبل الدولة النخب في هـذه المنطقة كـدور تقسـيم العمل والثقافة القوية الغربية – وخصوصاً الأمريكية).

وظيفة الثقافة كمصـــدر للمصـــالحة والتضـــامن ســـتتغير في الأعـــوام القادمة, وهذا قد يكون مؤشراً على ثقافة سياسـية متحولة قد تـؤدي دور مبــــدأ راســــخ, إني أوافق المؤلف رأيه بـــأن العلاقة الوثيقة بين النفط والاســـلام هي الســـبب الرئيسي لعـــزل الشـــرق الأوسط بالمقارنة مع المنــاطق الأخــرى,بيد أني أجد أنه من الصـعب اعتبـار القـوى الأجنبيــة, وخصوصاً الوجـود الأمـريكي في المنطقـة, بداية واعـدة تبعها فشـل, هـذا يعني أن النفوذ المتعاظم للغرب في القرن الحادي والعشرين سيؤثر على المستوى الإقليمي بطريقة مختلفة.

صحيح أن سياسة الشرق الأوسط, وبالتالي ثقافته السياسـية سـتتغير, إلا أن هذا لا يعني أن المقاربة المتكاملة والمثـيرة الـتي قـدمها المؤلف لا علاقة بها بالحاضر. عوضـاً عن دمج المقاربة الثقافية –التاريخية البريطانية بتلك الأمريكية العلمية, انتجت هذه إطاراً شاملاً يقول العلماء البريطانيون إن السلوك المتعلق بالسياسة الخارجية يتشكل ثقافيـاً, أن على المـرء أن يكـون عالمـاً بتـاريخ وتقاليد ثقافة معينة كي يتمكن من فهم سـلوكها في السياسة الخارجيـــة. مقاربة السياسة الخارجية المقارنة في الولايـــات المتحـــدة تسـعى لتوليد نظرية حـــول صـــنع السياسة الخارجية يمكن أن تسـتخدم عندئذ لفهم –وحـتى توقـع- السـلوك المتعلق بالسياسة الخارجية لدول مختلفة.

ومع أن العديد من الافتراضـات والافتراضـات المسـبقة للمؤلف مثـيرة للجـدل ومفتوحة أمـام التحـدي إلا أنه من الصـعب للغاية رفضـها كليـاً والعلماء الذين ينتقـدون آراء المؤلف المتشـائمة حـول السياسة الخارجية بعد الانتخابات الرئاسية عام 1997 يقبلون أن فقدان الإجماع في أوسـاط النخب, ودور الأفـــراد وتفـــوق الأيديولوجية والمثاليـــة, ولا فاعلية الآلة الدبلوماسية, وإهمال العوامل الإقتصادية والاتكال الاستثنائي على الثقافة وخصوصاً الثقافة الشيعية, لم تتم إزالتها, وهي قد ضعفت, ويبـدو أن علينا ان نعـــترف أن العديد من الافتراضـــات المســـبقة للمؤلف ليست نظرية فحسب, بل تجريبية وإلى حد ما يمكن ملاحظتها. وعلى الرغم من أنه كي يتم تأكيد هذه الافتراضات بشكل كامل من الضـروري أن نتكهن, ولكن إذا ما أخذنا في الحسبان تطورات العقد الماضي من السياسة الخارجية, فقد

نؤكد انتصار الماهويين (أنصار الماهية) الذين يعتقدون أن التغيير الراديكالي في السياسة الخارجية للجمهورية الاسلامية أمر مستحيل قد يكون الافتراض الأكثر أهمية هو التمييز بين الداخلي (السياسي) والخارجي (الدولي) وقد يجادل البعض بأن العولمة قد جعلت الحدود بينهما مبهمة, ويجادل البعض أيضاً بأن هذه هي نتيجة التحول في نموذج الدولة -الأمة الوستفالية. وإذا لم نقبل بهذا الافتراض, بمقدورنا أن نشك في دور القوى العظمى في السيطرة على المخيلة في الشرق الأوسط, وأيضاً في انعزال هذه المنطقة, ويبدو للمراجع أنه من الأفضل استخدام مفهوم المقاومة, وخصوصاً المقاومة الثقافية, التي ليست بالضرورة ضد عولمة اقتصاد السوق الحرة النيوليبرالي. هذه المقاومة متعمدة إلى حد معين, فيما قد يكون الانعزال غير مقصود. من الصعب أن نتجاهل تدخلية القوى الكبرى في المنطقة منذ الحرب العالمية الثانية وخصوصاً بعد الغزو العراقي للكويت, فكيف يمكن أن نقلل من شأن البعد الثقافي لهذه القطبية الأحادية بعد الحرب الباردة.

التوصيات

أخيراً, تبدو توصيات المؤلف حول السياسة طموحة, مع الأخذ في الاعتبار الاتجاهات العامة للنظام السياسي الإيراني الحالي. التوصيات الرئيسة للكتاب هي: التعامل مع الاتجاهات المتضاربة في دستور الجمهورية الاسلامية, إيجاد تسوية حول الهوية القومية الإيرانية, ضبط المشاكل ازاء الغرب, وخصوصاً الولايات المتحدة وإسرائيل, جعل النظرة العالمية الدينية معتدلة, وإدراك دور الاقتصاد في المجتمع الدولي الحالي من قبل نخب الدولة, ومن الصعب إثبات امكانية, بل وحتى إحتمالية, هذه التوصيات في الأعوام القادمة, كما أن غموض جعل المسائل نظامية واضح إلى حد ما, ما هي خاصيته الرئيسة؟من هم داعموه؟ أي من جوانبه فاعلة؟ والأهم: هل يمكن لدولة قوتها وسطى كإيران ضبط مشاكلها مع مصدر القوة المتعاظمة في النظام الدولي الفوضوي, برأيي, ما هو موجود في لب هذا الكتاب هو دعوة لإعادة التركيز على السياسة الخارجية كميدان متخصص.

السياسات الخارجية في دول العالم الثالث وإيران غير حصينة, والسبب في ذلك يعود إلى حد ما لإهمال هذه النقطة المنهجية, معظم صانعي السياسة الخارجية ليس لديهم إطلاع كاف على تعقيد هذا الميدان, وهذا قد يكون ناجماً عن إضعاف الطبقة الوسطى في إيران ما بعد الثورة, وبسبب الصلة الوثيقة بين السياستين الخارجية والداخلية في إيران, يتسم هذا الأمر بأهمية بالغة وينبغي أن ينظر إليه كأحد أصول الديبلوماسية سريعة الاستجابة في الأعوام الأخيرة, وليس من المبالغة الزعم أن هذا الكتاب هو أول عمل أكاديمي وموجّه تطبيقياً حول السياسة الخارجية للجمهورية الاسلامية باللغة الفارسية وبقلم باحث معروف.

الراصد

أهل السنة في إيران
تحديات الواقع وآفاق المستقبل

عصام عبد الشافي

باحث في شؤون الأقليات الإسلامية

بالرغم من أن أهل السنة في إيران عانوا ويعانون الظلم والاضـطهاد والتهميش على يد الحاكمين الشيعة, إلا أننا قلّما نجد من ينبري لبيان هذه القضية, ويسلط عليها الأضواء بالرغم من استفحالها.

الباحث المصري عصام عبـد الشـافي يوضـح لنـا هـذه المعانـاة الـتي يتعرض لها المسلمون السنة في إيران, والوعود التي يمنحها لهم الحكام, ولا تترجم إلى واقع.............. المحرّر.

تحتل إيران موقعاً مهما في الخريطة السياسية والاستراتيجية إقليمياً وعالمياً فهذا البلد المتسع المترامي الأطراف والغني بموارده كان مركزاً لحضارة وامبراطورية عظيمة, ولم تتوقف دورة الحضارة في ايران عبر عصور التاريخ المختلفة, وإنما ظلت إيران مركز تأثير في العالم والأقاليم المحيطة بها مثل شبه القارة الهندية وآسيا الوسطى والخليج العربي والوطن العربي وتركيا, وقد كان لموقعها الجغرافي دور محوري في بقاء إيران على صلة بالأحداث والتفاعلات في العالم.

فإيران تقع في قلب القارة الآسيوية, يحدها من الشمال دول الاتحاد السوفييتي (سابقاً) ومن الشرق أفغانستان وباكستان ومن الغرب العراق وتركيا ومن الجنوب خليج عُمان والخليج العربي, وتبلغ مساحتها 1.648 مليون كم مربع منها 1.636 مليون كم مربع يابسة و 12000 كم مربع مياه, ويبلغ طول حدودها البرية

* من مجلة مختارات ايرانية التى تصدر عن مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية. العدد 31 فبراير (شباط) - 2003

5440 كم, كما يبلغ طول شريطها الساحلي 2440كم على طول الخليج العربي وخليج عُمان وقرابة 740 كم على بحر الخزر(قزوين).

وقلب إيران الجغرافي هو الهضبة الإيرانية التي ترتفع عن سطح البحر ارتفاعات تتراوح ما بين 1000 و 1500 متر يحيط بها مجموعة جبال شاهقة أهمها مجموعة زاجروس التي تتمدد مكونة مجموعة من الوديان والسهول, وداخل هذه الهضبة وجد العنصر الفارسي الذي ظل طوال التاريخ يمثل المجموع الأساسي من سكان فارس ومنه عرف الاسم القديم لإيران وذلك على الرغم من وجود جماعات سكانية متميزة عبر التاريخ في الهضبة كالأذربيجانيين والأتراك والأكراد والعرب وأقلية صغيرة من الهنود.

وقد بلغ عدد سكان إيران 70.3 مليون نسمة في يونيو 2000, ويتوزع السكان بين عدة جماعات عرقية وأهمها (وفقاً لبيان رسمي صادر عن وكالة الأنباء الإيرانية): الفارسي 51% والأذري 24% والجيلاكي

والمازاندراعي 8% والعربي 3% والكردي 7% واللور 2%, والبلوش 2%, والترك 2%, وعناصر أخرى 1%, كما تتنوع الأديان والمذاهب وتتوزع بين: الشيعة 80% والسنة 10% والطوائف اليهودية والنصرانية والبهائية والزرادشتية 10%.

والمسلمون السنة في إيران حسب الإحصاءات شبه الرسمية تتراوح أعدادهم بين 10 و 15 مليون مسلم يشكلون نسبة تتراوح بين 15 و 20 % من الشعب الإيراني, وهم مقسّمون إلى 3 عرقيات رئيسية هي الأكراد والبلوش والتركمان, ويسكنون بالقرب من خطوط الحدود التي تفصل إيران عن الدول المجاورة ذات الأغلبية السنية مثل باكستان وأفغانستان, والعراق وتركمانستان, أما المسلمون السنة من العرق الفارسي فوجودهم نادر.

إيران السّنّيّة

لقد كانت إيران دولة سنية حتى القرن العاشر الهجري, وفي الفترة التي كانت فيها على عقيدة أهل السنة والجماعة قدّمت إيران, بسبب ظروفها الإجتماعية والتاريخية والثقافية وقربها لمهبط الوحي, المئات من الفقهاء والمحدّثين والمؤرخين والمفسّرين والعلماء في كل فن وعلم, ويكفي تدليلاً على ذلك أن أصحاب الكتب الستة كلهم إيرانيون إلى أن تشيّعت فأصبحت بؤرة اصطدام ومركزاً للصراع ضد أهل السنة, لأن الدولة الشيعية الصفوية, كانت تتعاون مع قوى الاستعمار لوقف المد السني الاسلامي, كما بُنيت تلك الدولة على آلاف الضحايا من العلماء السنة وفقهائهم وقضاتهم في إيران, وكان ذلك سبباً في إخلاء المدن الكبرى التي كانت مراكز للعلم والفقه والسنة في العالم, كتبريز وأصفهان والريّ وطوس (التي بنيت بقربها مدينة مشهد) وغيرها الكثير, وكان ذلك سبباً لإخلائها من أهل السنة الذين إما قتلوا أو استشهدوا أو تشيّعوا جبراً أو انسحبوا إلى المناطق الجبلية التي يصعب الوصول إليها, فأصبحوا يقطنون المناطق الحدودية الجبلية كبلوشستان وكردستان والمناطق الحدودية الأخرى (فيسكن الأكراد في غرب إيران على الحدود العراقية والتركية, ويسكن التركمان في شمالي إيران على الحدود التركمانية, كما أن العرب يسكنون في حاشية الخليج العربي, أما عرب خوزستان وهم معظم العرب الإيرانيين فهم من الشيعة بسبب مجاورتهم لعرب جنوب العراق الذين هم من الشيعة, ويسكن البلوش في الجنوب الشرقي لإيران على الحدود الباكستانية والأفغانية), ليصبحوا بعد ذلك على هامش الحياة السياسية الإيرانية بسبب استمرار العداء الطائفي والقومي لهم.

ونظراً لأن أهل السنة في إيران من شعوب غير فارسية فقد عاشوا في ظل النظام الملكي السابق أوضاعاً سيئة, فكانوا مواطنين من الدرجة الثانية, أولاً بسبب بعدهم عن المدن الكبرى والعاصمة, ثم بسبب اعتقادهم المخالف للفرس الشيعة, لأن الشاه كان يرفع لواء المجوس والقومية الفارسية, وبما أن الأكراد والبلوش والعرب وغيرهم من السنة لم يكن لهم إسهام في القومية الفارسية الوثنية, فلم يكونوا ينالون حظهم من القسط الاجتماعي والإداري والوظيفي والمساواة مع الفرس.

ولمواجهة الأوضاع قام الشيخ أحمد مفتي زاده (الزعيم الروحي لأهل السنة في إيران), هو ومولاي عبد العزيز البلوشي بتأسيس مجلس لشورى أهل السنة سمّي اختصاراً بالشمس تخفيفاً " لمجلس الشوري المركزي للسنة ", وكانت الدولة ضعيفة آنذاك وكانت مشغولة بحربها مع أعدائها الألدّاء من المنشقين والمعارضين واجتمع أول مجلس سنوي لشورى السنة في طهران, وعقد الثاني في بلوشستان.

والأقلية السنية في إيران اليوم, ليست أقلية دينية تعيش في مجتمع مغاير لها في عقيدتها, ولكنها أقلية مذهبية تعتنق مذهباً إسلامياً مخالفاً للمذهب الفقهي الذي تتبناه الدولة, وبالرغم من كونهم يمثلون أكبر أقلية مذهبية في البلاد, إلا أن مستوى تمثيلهم في البرلمان والتشكيل الوزاري لا يتناسب مع نسبتهم العددية.

أسباب الأزمة:

المشاكل والقيود التي يتعرض لها أهل السنة في إيران شديدة التداخل, ومرجعها ليس المذهبية وحدها وإن كانت أكبر العوامل, فجزء منها يعود لأسباب عرقية في دولة متعددة العرقيات مثل إيران, فجميع المسلمين السنة في إيران ليسوا من أصول فارسية فهم إما أكراد أو بلوش أو ترك, أو لأسباب جغرافية فمعظم أهل السنة يقيمون على أطراف الدول التي تصل بينها وبين دول سنية هي على خلاف مع إيران مثل العراق أو أفغانستان أو باكستان, وزاد من مشكلتهم البعد السياسي الذي تمثل في عدم انخراطهم في الثورة الإيرانية منذ بدايتها, واكتفائهم بدور المراقب في الوقت الذي شاركت فيه كل فئات الشعب في الثورة.

وكانت هذه الأسباب وغيرها مبرراً لإثارة الشك تجاههم فهم في نظر النظام الإيراني ليسوا مجرد فصيل يختلف مذهبياً معه, ولكنهم عرق مشكوك في انتمائه إلى جسد الدولة الإيرانية, وكثيراً ما يتهمون بالقيام بعمليات التهريب أو الاتصال بالجهات المعادية, وهي مبررات كافية للنظام الإيراني للتنكيل بهم, وإن كان النظام أنكر مراراً أنه يقوم باضطهادهم أو تعذيبهم إلا أنه اضطر أخيراً وتحت ضغط الصحافة إلى الاعتراف بأن عدداً من رجال النظام قاموا بأعمال عنف ضد المسلمين السنة وغيرهم من المعارضين, ولكن السلطات قالت أن ذلك لم يصدر بأوامر من القيادة أو من الولي الفقيه.

أهل السنة – تحديات الواقع:

وأمام هذا الاعتراف, تكشفت العديد من الحقائق, وتعددت التقارير حول العديد من مظاهر التحديات التي يعاني منها أهل السنة في إيران, ومن بين هذه المظاهر:

1-تقييد حرية بناء المساجد الخاصة بهم: حيث لا يوجد مسجد سني في المدن الكبرى التي يمثل الشيعة فيها الأغلبية, مثل أصفهان وشيراز ويزد, وكذلك في العاصمة طهران التي يوجد فيها نصف مليون سني,

حيث تصطدم الأقلية السنية برد الحكومة بأن المساجد الشيعية مفتوحة أمامهم ويمكنهم الصلاة فيها, ولا داع لبناء مساجد خاصة بهم [1].

وكان الإمام الخميني قد وعد وهو في باريس بتساوي حقوق السنة مع الشيعة الذين كانوا بحاجة ماسة إلى تأييد أهل السنة ضد الأحزاب اليسارية وأنصار الشاه فاضطروا إلى ممالأة السنة, وحاول بعض علماء السنة من جميع المناطق السنية الوقوف مع النظام الجديد ضد الشيوعيين والحصول على حقوقهم السياسية قدر المستطاع عبر القنوات الحكومية التي كانت تعدهم بكل شيء, ولكن ما لبثت الأوضاع أن اضطربت في كردستان وتركمان, -قيل أنها- بمؤامرة من النظام نفسه حيث أخرج اليساريون من المدن المركزية إلى هذه المدن الحدودية.

وكان الشيخ عبد العزيز البلوشي النائب المنتخب في مجلس الخبراء الذي عهد إليه صياغة الدستور الإيراني بعد الثورة, والشيخ مفتي زاده قد طلبا من الخميني أرضاً لمسجد أهل السنة في طهران فوافق تحت الضغط الداخلي والخارجي (قامت به رابطة العالم الاسلامي) وعرضت الحكومة عدة أراض مما كانت قد استولت عليها من أنصار الشاه وصادروها, فرفضها أهل السنة فتم تخصيص عشرة آلاف متر مربع من الأراضي الحكومية بجوار فندق الاستقلال للمسجد, وعندما أراد أهل السنة البناء قامت السلطات الحكومية بمصادرة الأراضي وحسابات المسجد بحجة أن مفتي زاده وهابي المذهب وكان في وقته مؤتمر الطائف منعقداً فربطوا مفتي زاده به.

2-هدم المساجد والمدارس: مثل مدرسة ومسجد الشيخ قادر بخش البلوشي ومسجد كيلان في هشت بر وآخر في كتارك جابهار بلوشستان, ومسجد في مشهد ومسجد الشيخ فيض في شارع خسروي في محافظة خراسان الذي صار حديقة, ومسجد أهل السنة في مدينة يزد, وفي الأهواز وعبادان حيث استولى عليهما حرس الثورة كما أن مسجد آبان في مشهد صودرت الأرض المخصصة له وتم الاستيلاء عليه بعد السماح ببنائه, كما أن مسجد شيخ فيض الكبير في مشهد والذي مضى عليه أكثر من قرنين هدم عام 1994 ومسجد طوالش ومدرستها الدينية لأهل السنة سجن بانيهما ومديرهما, ثم استولوا عليهما, وأما مسجد نغور والمدرسة الدينية فيها فقد تم هدمهما أيضاً في بلوشستان عام 1987, ومسجد قباء والمسجد الجامع الكبير في تربت جام, الذي استولى عليه الحرس الثوري لسنوات عديدة ومسجد الحسنين في شيراز أعدم خطيبه وحولوه إلى محل لبيع الأفلام لسنوات عديدة, هذا فضلاً عن هدم كثير

---

[1] يرد أهل السنة على ذلك بأن القول بأن المساجد موجودة, ولا يمنع مسلم سني أو شيعي من أن يصلي فيها, فهذا خلاف الواقع لأنه يمنع قطعاً إقامة صلاة الجماعة لأهل السنة في مساجدهم وأما الفرادى فصحيح وإن كانوا ينظرون إليهم بازدراء وتحقير, وهل يمكن للسنة أن يصلّوا في مساجدهم وهم يدعون إلى عقيدتهم الصافية, فضلا عن أن مساجد الشيعة مليئة بالمنكرات مثل الصور المعلقة لمن يسمونهم بالشهداء, هذا عدا عن التدخين العلني داخل مساجدهم والسباب والشتائم لأصحاب الرسول, فكم يهينون مساجد السنة؟ ولماذا يقومون ببناء مساجد خاصة بهم في العالم الإسلامي؟

من المساجد الصغيرة الأخرى حيث تعتبر الحكومة الإيرانية تلك المساجد إما مساجد ضرار (بنيت لغير أهداف العبادة الخالصة) أو بنيت بغير إذن من الحكومة أو أن أئمة تلك المساجد لهم ولاءات مع جهات معادية.

3-الاعتقالات والاغتيالات, فحسب العديد من الروايات والتقارير فقد تعرض المسلمون السنة للعديد من مظاهر الاضطهاد منذ الأيام الأولى للثورة الاسلامية في إيران حيث انقلب آية الله الخميني على من عاونه من علماء السنة في الثورة وهو الشيخ أحمد مفتي زاده, فكان مصيره الاعتقال الذي استمر طيلة عقدين من الزمان, كما تعرض كثير من علماء السنة للاعتقال والتعذيب والقتل والاغتيالات في الشوراع, كما عانوا من التضييق في ممارسة الشعائر وفي المدارس وإقامة الصلوات, وما يتعرض له علماء الدين السنة يتعرض لمثله الطلاب والشباب من المسلمين السنة في المدارس والجامعات بل وأثناء أدائهم للخدمة مثل أقرانهم من الشيعة في الجيش الإيراني [1].

وقد نشرت منظمة العفو الدولية في تقريرها السنوي لعام 1993: (أدى التوتر بين الحكومة والمسلمين السنة من قبيلة نروى في مقاطعة سيستان بإقليم بلوشستان جنوب شرقي إيران إلى نشوب عدد من المصادمات المسلحة واعتقال عشرات من أفراد قبيلة نروى وقد أسيئت معاملة بعض هؤلاء المعتقلين وحكم على آخرين بالسجن أو الإعدام بعد محاكمات مباشرة وتردد أن كثيرين من المقبوض عليهم كانوا لا يزالون معتقلين دون تهمة أو محاكمة بسجن زاهدان في نهاية عام 1992).

4-تلغيم أراضي أهل السنة: حيث قامت الحكومة الايرانية بتلغيم مساحات كبيرة من الأراضي البلوشية المتاخمة لأفغانستان, وتحديداً عند مرتفعات سلسلة جبال بير سوران, وده غلاب, وغابة غزو, وآبار آب شورك, بحجة أنها مناطق لتهريب المخدرات واتخذت الحكومة من ذلك فرصة لتشويه سمعة المسلمين السنة وفرض المزيد من القيود والتضييق الاقتصادي عليهم فقد كانت هذه الأراضي مناطق رعي للمسلمين من البدو السنة, وأدى هذا التصرف إلى تعرض عشرات منهم ومن مواشيهم للموت بشكل منتظم نتيجة انفجار الألغام.

5-التحدي السياسي: ويأخذ هذا التحدي العديد من الأبعاد من بينها:

(1) البعد التمثيلي: يتمثل في عدم منح أهل السنة تمثيلاً في البرلمان يتناسب مع حجمهم الحقيقي إذ لا يمثلهم في البرلمان سوى 12 نائباً فقط يمثلون ما بين 10إلى 15 مليون نسمة, في حين يمثل الشيعة في البرلمان نائب عن كل 200 ألف تقريباً, كما يتهم السنة في إيران

[1] عن هذا الاضطهاد يقول الدكتور أبو منتصر البلوشي – رئيس رابطة أهل السنة في إيران -: " لا يوجد لون من ألوان التعذيب أو الإيذاء لم يتعرض له السنة في إيران, ويبدو أن المخابرات الإيرانية (الواواك) تمارس تدريباتها العملية في مواقع السنة, فاغتيال علماء السنة وتوقيفهم المتتالي والعشوائي مستمر حتى هذه اللحظة وحتى بعد مجيء خاتمي, وقد بدأت امواج الاضطهاد تتسرب من المدن السنية إلى القرى, وخاصة في منطقة بلوشستان, جنوب شرقي إيران وكذلك الأمر للسنة من أصول تركمانية في الشمال ".

الحكومة بإنجاح العناصر السنية الموالية لها وليست المعبرة عن مطالبهم.

(2)التناقض بين النصوص الدستورية والواقع المعاش فعلياً والممارسات التي تقوم بها السلطات الحكومية ضد أهل السنة: فقد نص الدستور على العديد من الحقوق والحريات لمختلف الأقليات ومن ذلك:

-الاحترام وحرية أداء المراسم والشعائر الخاصة, حيث نصت المادة (12) على أن " الدين الرسمي لإيران هو الاسلام والمذهب الجعفري هو الإثنى عشري, وهذه المادة تبقى إلى الأبد غير قابلة للتغيير, وأما المذاهب الاسلامية الأخرى والتي تضم الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والزيدي فإنها تتمتع باحترام كامل, وأتباع هذه المذاهب أحرار في أداء مراسمهم المذهبية حسب فقههم ولهذه المذاهب الاعتبار الرسمي من مسائل التعليم والتربية الدينية والأحوال الشخصية, وما يتعلق بها من دعاوى في المحاكم, وفي كل منطقة يتمتع أتباع أحد هذه المذاهب بالأكثرية, فإن الأحكام المحلية لتلك المنطقة في حدود صلاحيات مجالس الشورى المحلية تكون وفق ذلك المذهب. هذا مع الحفاظ على حقوق أتباع المذاهب الأخرى ".

-حرية استخدام اللغات الخاصة: حيث نصت المادة (15) على أن "اللغة والكتابة الرسمية والمشتركة: هي الفارسية لشعب إيران والكتب الدراسية بهذه اللغة والكتابة, ولكن يجوز استعمال اللغات المحلية والقومية الأخرى في مجال الصحافة ووسائل الاعلام العامة, وتدريس آدابها في المدراس إلى جانب اللغة الفارسية " كما نصت المادة (16) على أن " بما أن لغة القرآن والعلوم والمعارف الاسلامية هي العربية وأن الأدب الفارسي ممتزج معها بشكل كامل لذا يجب تدريس هذه اللغة بعد المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية في جميع الصفوف والاختصاصات الدراسية".

-حرية تشكيل التنظيمات والهيئات المختلفة: حيث نصت المادة (26) على أن " الأحزاب والجمعيات والهيئات السياسية والاتحادات المهنية والهيئات الاسلامية والأقليات الدينية المعترف بها, تتمتع بالحرية بشرط ألا تناقض أسس الاستقلال والحرية والوحدة الوطنية والقيم الاسلامية وأساس الجمهورية الاسلامية, كما أنه لا يمنع أي شخص من الاشتراك فيها, أو إجباره على الاشتراك في إحداها".

ولكن من القراءة الدقيقة لهذه النصوص نجد أنها تقيم حالة من الصدام والصراع مع قسم كبير من الشعب (يمثله أهل السنة) وخاصة أنها سوف توجه التصرفات الحكومية وتعطيها غطاء من المحاسبة, نظراً لأن المذهب الجعفري يسقط كل المذاهب الاسلامية الأخرى ولا يقيم لها وزنا, وتركيز هذه الصبغة الطائفية في الدستور الإيراني تتكرر في مواد أخرى متعلقة مثلا بمجلس الشورى أو الجيش وقسم الرئيس, وهذا القلق في الدستور تجاه الهوية الطائفية من خلال تكرار النص على مذهب الشيعة هو في الحقيقة خوف من المستقبل الذي لا يكون فيه الملالي في الحكم!

6-التحدي الديني: فنظراً لأن أهل السنة يعتبرون أنفسهم مخالفين في بعض المسائل الفقهية للشيعة الايرانيين الذين يغلب عليهم المذهب الإثنى عشري, فإن كل طرف يحاول الدعوة إلى إفكاره التي يؤمن بها وسط الطرف الآخر, وهنا تقول الأقلية السنية إنها تتعرض لفرض الأفكار الشيعية بالقوة في حين تمنعها الحكومة من تعليم مذهبها.

فالإيرانيون من السنة والشيعة يحملون فوق كاهلهم ميراثاً من الخلافات والعداء التاريخي والمذهبي, ويزيد من حالة المذهبية أن النظام الايراني لم يفعل إلا ما يؤدي إلى تدعيمها رغم ظهوره في السنوات الأخيرة بمظهر المتسامح,فأحد المزارات الرئيسية في إيران قبر أبي لؤلؤة المجوسي, ورغم أنه من عبدة النار إلا أنهم يحتفون به لمجرد أنه قاتل عمر, كما أن من عقائدهم سب الصحابة وتجريح كبرائهم, وغير ذلك من الأمور التي لا يمكن أن يقبلها المسلمون السنة.

وفي إطار التحدي الديني أيضاً, تأتي اتجاهات التقريب بين السنة والشيعة التي يدعو إليها عدد من علماء المذهبين, وتتبناها العديد من المؤسسات والجهات الرسمية والعلمية في عدد من الدول العربية والاسلامية, وعن هذه الدعوة يقول رئيس رابطة أهل السنة في إيران: " إن الإتجاه نحو التقريب بين المذهبين هو اتجاه خطير ومدمر بصورة تدفع إلى التفكير في أن وراءه مخطط تآمري ضخم على العالم الاسلامي, ويترتب على السير في هذا الطريق عدد من النتائج الخطيرة على الاسلام والمسلمين وخاصة أهل السنة منهم ".[1]

7-الإهمال والتجاهل: فمناطق أهل السنة هي الأقل استفادة من الخدمات التي تقدمها الدولة, ومساجدهم القليلة تتعرض لرقابة صارمة, وملاحقة مستمرة ولا يسمح لهم بإقامة مدارس, وفي الوقت الذي يوجد فيه معبد للزرادشتية في قلب طهران, فإن المسلمين السنة ممنوعون من إقامة مسجد يؤدون فيه شعائرهم رغم أنه مطلب يلحون عليه منذ سنوات.

أهل السنة, آفاق المستقبل:

[1] من بين هذه الأخطار كما يراها رئيس الرابطة:

-أنه سيدفع إلى خداع الغافلين من أبناء المسلمين السنة فيتأثرون بالاطروحات الشيعية التي لا يتنازلون عنها, فيظنون أن مذهب هؤلاء الشيعة هو مذهب آل البيت ومعتقداتهم ومبتدعاتهم هي حقاً من عقائد آل البيت, فيقع هؤلاء فيما يقع فيه الشيعة من المعتقدات.

-أن هذا الاتجاه لن يؤدي إلى تقارب بين السنة والشيعة كما يظنون, لأن حقيقة الشيعة في إيران هي أنهم لا يقبلون إلا بمن يقبل بولاية آل البيت ويقول بإمامتهم وتقديمهم على الشيخين بالمعنى الشيعي لهذه المفاهيم.

-أن هذا السلوك المهادن والصمت على مخالفات الشيعة, سيؤدي إلى مزيد من المذابح والظلم والاغتيالات التي يتعرض لها المسلمون السنة في إيران, فيما يواصل العالم الاسلامي صمته رغبة في التواصل السياسي مع إيران موظفين الدين لتحقيق هذا الغرض.

حقيقة التقارب

إذا كان هذا عن التحديات التي يعاني منها أهل السنة في إيـران, فـإن السنوات الخمس الأخيرة وخاصة مع بـدايات حكم خـاتمي, شـهدت نوعـاً من التحسن في أوضاعهم, فالمسلمون السنة الآن ممثلون في البرلمـان ب 14 نائباً, كما شكل الرئيس خـاتمي لجنة لمتابعة شـئونهم مشـكلة من رئيس شيعي (ابن شقيقة الرئيس خاتمي, والذي كـان مـديراً للمخـابرات قبل ذلك في أحد الأقـاليم ذات الأغلبية المسـلمة) واثـنين من المسـلمين السنيين, وهـؤلاء النـواب يطـالبون باسـتمرار بتحسـين أحـوال المسـلمين السنة ويسعى خاتمي لذلك في حـدود قدراته كـرئيس للجمهوريـة, وهـذه المؤشـرات وغيرها تنـبئ بمسـتقبل أفضل لأهل السـنة في إيـران, إلا أن تحقيق ذلك يبقى رهناً بعدد من الاعتبارات:

-أنه إذا كـان هنـاك حـوار واسع بين العديد من البـاحثين والمفكـرين للتقارب بين السنة والشـيعة, فإنه ما لم يكن الحـوار حـول أصـول الـنزاع بين السـنة والشـيعة والوصـول إلى اتفـاق واضح فيما يحق الحق ويبطل الباطل سـتكون العملية عملية خـداع يـراد بها جر السـنة إلى مواقف الشيعة!! وإلا لماذا لا نرى تطبيقاً عملياً للتقارب بين السـنة والشـيعة في إيران؟ ولماذا لا يسمح بمسـاجد للسـنة في العاصـمة طهـران؟ ولمـاذا لا يسـمح لأهل السـنة أن يمارسـوا نشـاطهم الـديني بحرية حـتى لو خـالف الشـيعة؟ ولمـاذا لا يحصل السـنة على حقـوق سياسـية مساوية للأسف لحقوق اليهود في إيران؟.

-لقد بيّن واقع التجربة السياسية في إيران الأدوار المزدوجة التي يمكن أن يلعبها الدين الواحد, بل والمذهب الواحد, فبينما يستند المحافظون إلى قراءة مغلقة لأساسيات المذهب الشيعي, مستظلين بقدسية الولي الفقيه, فإن الاصلاحيين الإسلاميين يستندون إلى ذات العقيدة الإسلامية, وذات المرجعية الشيعية الجعفرية مؤكدين على علوية القانون والمساواة بين المواطنين وعلى دور إرادة الشعب في إفراز المؤسسات والأشخاص.

ولعله من المطلوب اليوم من الاسلاميين الايرانيين (محافظين واصلاحيين) أن يتأملوا التجارب التي سبقتهم, سواء داخل إيران نفسها أو في محيطهم الاســلامي والدولي, فليس بمقدور المحافظين إيقاف عجلة التاريخ أو احتكار السلطة تحت عباءة الشعارات ومبادئ الثورة, أو الاكتفاء باستخدام غطاء الولي الفقيه, كما أن الاصلاحيين يخطئون خطأً جسيماً إذا فهموا أن عملية الاصلاح ستؤثر على مرتكزات النظام الاجتماعي والسياسي.

-إذا كان الدستور يختار الطائفية وينص عليها للأبد فهل من أمل في التقارب أو الوحدة؟ وإذا كان جزء من الشعب الإيراني يظلم لأنه سني فكيف سيكون التعامل مع السنة من الدول الأخرى؟ وإذا كان الدستور يعلي من القومية والشعوبية والعرقية من خلال إعلاء اللغة الفارسية علي لغة القرآن؟ وإذا كانت السياسة الخارجية تصب دائماً في العداء لأهل السنة؟ فكيف ستكون هذه الوحدة والأخوة الاسلامية؟!.

إن الوحدة الاسلامية تتطلب التخلي عن الهوية الطائفية للدولة الايرانية وعن المظاهر الفارسية, وإعطاء أهل السنة حقوقهم, وترك السياسات العدائية تجاه العرب والمسلمين, وتبني سياسات متسامحة تجاه نشر المذاهب الاسلامية في إيران, وإقامة مؤسسات للوحدة الاسلامية والتقارب بين المذاهب في إيران يقوم عليها نخبة من أتباع المذاهب الأخرى يرشحهم الأزهر الشريف ومجمع الفقه الاسلامي في مكة, وغيرهما من المؤسسات الاسلامية التي تلقى قبولاً واتفاقاً بين عموم المسلمين.

-إن أوضاع المسلمين السنة مرشحة لمزيد من التحسن خلال السنوات القادمة وخاصة بعد أن أظهروا في الانتخابات الأخيرة بمجلس الشورى الإيراني حضوراً لافتاً في دعمهم للاتجاه الاصلاحي, حيث ظهرت لأول مرة قائمة النواب الاصلاحيين قالوا إنها مدعومة من المسلمين السنة في البلاد, وكان ذلك بالتنسيق مع محمد رضا خاتمي شقيق الرئيس وزعيم الاتجاه الاصلاحي في الانتخابات.

-إن تطـورات الأحـداث والسياسـات الخاصة بأهل السـنة في إيـران تطرح سؤالاً مهماً مفاده: " هل يستطيع مشروع الوفـاق الوطـني –الـذي طرحته " جبهة الثاني من خرداد "(التكتل الذي قاد الرئيس محمد خـاتمي إلى السـلطة عـام 1997) في 7/4/2002 أن يجعل عـام 2002 عامـاً للوفاق الوطني تناقش فيه جميع القضايا الخلافية بين التيـارات السياسـية المختلفة للخـروج بمشـروع ميثـاق وطـني أو ميثـاق شـرف بين القـوى السياسية والتغلب على حالات الانقسام السياسي والاجتماعي التي يعاني منها المجتمع الايراني؟ وأين الأقليات الدينية والقومية من هذا المشروع؟.

إن نجاح مشروع خاتمي الاصلاحي يبقى مشروطاً بوجود قاعدة إجماع واسعة تميز بين دائرة الثوابت المفترض أن يتفق حولها, ودائـرة الاجتهـاد المسموح بـالاختلاف فيهـا, وتضم مختلف القـوى السياسـية والاجتماعيـة, التي تعترف بثوابت وشرعية النظام الاسلامي حتى تكتمل صـورة النظـام الديمقراطي الإسلامي.